

تَأْلِيفُ العَلاَّمَةِ

أَحمَدِ القَطْعَانِي

الطَّبْعَة الأُولَى 1439هـ، 2018م

النَّاشِرُ

دَارُ بُشْرَى وكُلْثُوم

سري للغاية

تـألِيفُ العـلاَّمَـةِ
أحمَدِ القطْعَانِـي

الطَّبْعَةُ الأُولَى 1439هـ،2018م

النَّاشِرُ
دَارُ بُشْرَى وكَلْثُوم

البعض لا فكرة عنده عن الموضوع وإنما هو يسأل ليعرف، والبعض الاخر يكون قرأ صفات وشروحا متعددة ويريد أن يؤكدها أو يناقشها، وأضعُ جانبا كل ما جاء في مصادر العلم لأقول له إن الشيخ المربي، هو:

رجل حامل مرآة صقيلة يضعها أمام المريد فيرى المريد فيها نفسه.

أحمد سالم كريم القطعاني

نهر الحياة العذب (1)

أحب بين الفينة والأخرى أن أستلقي وأغمض عيني لأختلس سياحة أجول خلالها بذاكرتي قي ردهات فسيحة لزمن مضى عليه ربع قرن على الأقل مُستحضرا متذكرا متصوفين عظاما أكرمني الله بلقياهم.

==========

يجمح خيالي ليصورهم لي رأي العين كأنهم أمامي أحادثهم ويحادثونني وأسمع منهم ويسمعونني، ذكرياتي مع هؤلاء الرجال الأفذاذ هي أثمن ما أمتلكه اليوم وأملي أن أكون معهم غدا إذ يعلم الله أني أحبهم والمرء كما قال من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم مع من أحب.

* <u>ولي الله الشيخ فرج حمي</u> (ت1978م) في منزله البسيط المتواضع في حي الكيش ببنغازي تأخذه أحوال أهل الله فيمسك يدي بيده اليُسرى ويتجشأ وينظر إليَّ بعينيه مليا، ويقول:

يـا سـتار الحـال اسـترنا	***	يـا مـولاي انـت المعبـود
بـين عبـادك لا تفضـحنا	***	يـا مـولى الكـرم والجـود

لم أر مثله قط في إسقاط التدبير والاختيار فضلا عن حب العُزلة والأدب والمجاهدة ووجدت عنده من غرائب العلم ما لم أجده عن كبار مفتي دول عربية عدة التقيتهم، وأخذت عنه فتوى في كيفية تطهر من يده مقطوعة والأخرى في جبيرة الجبس أعدُّها اليوم من نفائس العلوم.

* <u>ولي الله الشيخ محمود بن ناصر</u> (ت1983م) في زاويته في أرض اللثامة ببنغازي يقيم مجلسا للسماع كل يوم جمعة، كنا نتردد عليه شباب وبعض الكهول لا يتجاوز عددنا جميعا العشرين نتقن السماع ونجيده ونقضي ما بين العصر إلى المغرب في ذلك المجلس الكريم ويختم بإطعامنا الزميته وربما ألقمنا إياها بيده الكريمة في أفواهنا ثم يدعو لنا كان ذلك عام 1976م.

ثم تكاثر المحبون وتوافدوا حتى ضاقت بهم الزاوية على رحابتها أما السيارات خارجها فتراها كأسراب طيور النورس كثرة واجتذبت تلك المجالس العارفين والصالحين والمنشدين

والمداح يتساقطون عليها تساقط النحل على جذذ الشهد من كل حدب وصوب ولم يتوفَ حتى كانت أعداد الحاضرين تخرج عن الحصر.

* ولي الله الشيخ محمد الصادق بيوض (ت1997م) في زاوية الكتاني العتيدة في طرابلس بمبناها القديم الجميل وبملامحه الطيبة الودودة في حلقات تلاوة البردة المباركة التي اشتهرت بها الزاوية والمريدون يتحلقون حوله والجميع بحب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هائم منشغل.
كان رجلا فاضلا يحب الترحال وتدوين رحلاته حدثني مرارا عن رحلاته هذه باعتزاز وعن أحبابه في الله وإخوانه باعتزاز أكبر وذكر لي مناقبهم وأفضالهم فالسيد بلقاسم عبد الجليل يتعلق بلقب الشاوش لا يتنازل عنه ولا يريد أن يُنادى بغيره لأنه رأى شيخه سيدي محمد بن عيسى مناما فناداه به والشيخ محمد بن حسونه هو الذي تبرع بالطوب لبناء زاوية الكتاني العتيقة والشيخ علي جندب يزور الزاوية وشيخها كل عام .....إن حديث الشيخ محمد بيوض تاريخ وعبرة طالما أنصتُ له.

* ولي الله الشيخ نصيب رسلان الغالبي الشاعري (ت1985م) علم غزير وثقافة واسعة وطيبة وإخلاص عاش قرنا من الزمان كاملا على مكارم الأخلاق ونبيل الفضائل يُضرب به المثل في السخاء والجود وخدمة من يرد عليه من الزائرين والضيوف على كثرتهم لا يأبه بهمِّ الرزق ولا يقيم للدنيا وزنا صديق شخصي لكبار المجاهدين وعلى رأسهم الشهيد عمر المختار.
كان رحمه الله إذا حدَّثك عن المجاهدين ومعارك الجهاد أراك التاريخ وأدخلك في أحداثه.

* ولي الله الشيخ عبد السلام بن مقتاح (ت1979م) معمر من رجال التصوف المعروفين في عصره في بنغازي رجل صالح مبارك كان له أسلوبه المميز في تربية المريدين لم أكن أستطيع الجلوس بجانبه إلا لدقائق حياء واحتراما إذ جل تلامذته في سن والدي على الأقل فكنت أكتفي بالتسليم والمشاهدة ومن ذلك أنه إذا دُعي إلى طعام هو وأحبابه يعمد إلى المائدة أول ما تمد أمامه فيخلط أصنافها ببعض في قصعة واحدة الطعام الساخن على المشروب البارد على الخس الأخضر، وعلى الجميع أن يأكل هكذا، ربما مقصده أن يكون قبول الدعوة لله تعالى لا لرغبة في أكل أو شرب أو ربما لإزالة ما التصق بقلب السالك من ميل طبيعي إلى لذيذ الطعام والشراب حتى يفرغ قلبه من الشهوات والركون إلى الملذات.

* <u>ولي الله الشيخ المبروك مهني</u> (ت1994م) كان من رجال الطريقة الرفاعية الخُلَّص يتنقل بدراجته لحضور مجالس الذكر التي عاش طوال عمره يعشقها، حدثني مرة، فقال: إنه كان مع شيخه علي القرقوري (ت1964م) في زاويتهم في حي الصابري في بنغازي في مجلس ذكر، قال: كنت أرى حيطان الزاوية يهطل الدمع منها سائلا على الجدران فكنت أجيبه بقوله تعالى: {**وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ** - البقرة 74}

رضي الله عنهم كانوا أقمارا تزين الطريق وكنت أشم في مجالسهم روائح القرب والأنس عبقة شذية، لطالما حمدت ربي سبحانه أن أدركت زمنهم وفزت بلقياهم فلقيا الرجال منتهى الآمال ومحط الرحال وليست هذه السطور بالتي تفيهم حقهم وإنما تكفي الغرفة من النهر لتعرف عذوبته، وربما نعاود سرد غيرهم ممن التقينا من الأكارم.

هويتنا في فكر الشيخ عبد السلام الأسمر

القرن العاشر الهجري وسقوط الأندلس لا يزال يدوي بقوة اهتزت لها كل حواضر الإسلام وهجمات القراصنة الصليبيين الحاقدة على مدن وثغور المغرب العربي تتواصل بشراسة آثمة وليبيا ترزح تحت الاحتلال الاسباني الذي تنازل عنها في 936هـ لمنظمة فرسان القديس يوحنا الصليبية المتطرفة.

ولأن المساجد والزوايا وأضرحة الصالحين والمعالم الإسلامية عامة هي هدف مباشر لكل برنامج تنصيري عادة فإن المآذن تُهدم والقباب تُدك وأضرحة الصالحين ومشاهدهم ومزاراتهم تُسوى بالأرض، يقول الرحالة العياشي في رحلته المسماة (ماء الموائد) عن ليبيا: سبب خفاء كثير من قبور الصالحين المدفونين أن البلد قد تداولته أيدي المسلمين والنصارى مرارا عديدة.ا.هـ.

في هذه الفترة الحرجة والظروف التي تمس ما هو أهم من حياة الإنسان نفسه أي العقيدة قام هذا الرجل العظيم الشيخ عبد السلام الأسمر لوحده بمسح طبوغرافي شامل يحتاج لجانا أكاديمية متخصصة ومؤسسات وأطنان من المراجع والوثائق وزمن وتدوين، لقد وثق أسماء العلماء والمتصوفين وذوي الصلاح الليبيين وحفظ هذه الأعلام في ذاكرة الأمة.

إن بلدا تخلو ذاكرته من أعلام يدون تراجمهم ويعتز بمآثرهم يعاني نقصا حضاريا شديدا وخللا في تركيبته الوجودية هاما، إن توثيق أعلام الإسلام هوية ودلالة على عمق مشاعرنا الدينية وأصالتنا الإسلامية إنه قيمة ومفخرة واعتزازا لذا حظيت كتب التراجم وسير الأعلام بمكانة بارزة في العلوم الإسلامية واضطلع الشيخ عبد السلام الأسمر في عصره بهذه المهمة الخطيرة في بلادنا.

إن قصائد سيدي عبد السلام الأسمر ومقطعاته الشعرية التي بلغت 700 قصيدة باللغة العربية الفصحى و400 باللغة العامية و800 على أوزان الششتري و500 على أوزان الشيخ الجعراني وأعداد غير قابلة للإحصاء من الأشعار الملحونة تعتبر أكبر مرجع تاريخي ليبي حفظ أسماء أعلام الليبيين حتى وفاته في (981هـ).

ونغوص في هذا البحر الزاخر لننشر من درره ما يسمح به المقام، فمن ذلك قوله:

يـا بـو عجيلـه مـا تنغـر	***	فـزع رجـال الغربيـه
سـيدي حمـد جـاب العسـكر	***	وعـدادهم زاد الميـه
عبـد الجليـل وأبـو جعفـر	***	فـي سـاعة قـالوا هيـا

وكل هؤلاء من أعلام ليبيا فأبو عجيله هو سيدي محمد حركات (ت 789هـ) دفين العجيلات، وعبد الجليل هو سيدي عبد الجليل الحكيمي (ت 675هـ) وأبو جعفر هو أبو جعفر الجنزوري وكلاهما دفن في جنزور.

وأحيانا يحدد مكان الولي بدقة ووضوح، فيقول:

سيدي المصري في المنشيه *** والقُديدي في فزان

وسيدي عبد الله المصري دفين طرابلس أشهر من أن نعرف به أما القديدي فهو القُديدي مولاي رواق (ت 802هـ) ودفن في براك الشاطي.

وفي {**الجوهرة المنثورة**} وتُسمى أيضا السلسلة الجوهرية وهي منظومة لسيدي عبد السلام الأسمر طويلة النفس بلغنا منها 543 بيتا من الشعر من بحر الرجز وثقت أسماء كثير من الأعلام والأولياء والصالحين من داخل ليبيا وبلاد الإسلام عموما وحتى بلدان الأعاجم وتكاد تغطي بموسوعية وإحاطة خارقة العادة رقعة جغرافية تمتد من الصين في أقصى شرق آسيا إلى مالي في غرب أفريقيا، يقول:

يا بن حاتم عدي بابن الصلاح *** بالرماح بالولي ابن الفلاح

والرماح هذا من كبار متصوفي ليبيا له شرح على حكم ابن عطاء الله السكندري نوه به الشيخ أحمد زروق، ولاحظ أنه لم يُدرج في هذا عفوا وإنما أراد الشيخ عبد السلام الأسمر بعبقرية أن يجمله مع نظرائه من علماء الإسلام المتميزين في لفتة غاية الكمال، ويقول في نفس المنظومة:

بابن أبي العطار بالطشاني *** وبالنفاتي وقضيب البان

وابن أبي العطار وقضيب البان متصوفان من خارج ليبيا من مدرسة تقول بمجاهدة النفس قياما وصياما وانقطاعا لله تعالى، وتراه ذكر معهما بألمعية موفقة متصوفين ليبيين من تاجورا من المدرسة الصوفية نفسها هما الشيخ علي الطشاني وتلميذه الشيخ عبد الكريم النفاتي وكانا على قدم من الولاية والصلاح وعلى صلة بمتصوفي عصرهما، وللشيخ أحمد بن عروس قصيدة في رثاء الشيخ عبد الكريم النفاتي تدل على فضله ومكانته الكريمة، ثم يقول الشيخ عبد السلام الأسمر:

وبالخروبي الكبير بالسخاوي *** بابن خلكان والدراوي

فتراه لا يكتفي بالاسم مجردا بل يميز الأب وهو الشيخ علي الخروبي بلقب الكبير دفين

طرابلس عن ابنه محمد الخروبي (ت963هـ) دفين الجزائر العاصمة، ويقول:

بالغربـاء بـا بـن عبـد المـولى *** عبـد النبـي الأصـفر وخولـه

وعبد النبي دفين بو ماضي بككله من كبار أعلام الشمال الأفريقي وربما نخصص له مقالة وخوله من متصوفات العراق، ثم يقول لا فض فوه:

بمحفـوظ المليلـي بالحشـاني *** وبـالانجيلي وبالكرمـاني

والأولان من أعلام ليبيا المشاهير ويكفي أن تعلم أن الشيخ أبا عثمان الحشاني (ت362هـ) اتفقت على فضله الأوائل والأواخر، قال عنه الشيخ أحمد النائب الأنصاري في النفحات: من أكابر الصوفية حاويا للعلوم اللدنية والمعارف القدسية والأسرار العرفانية منقطعا للعبادة ا.هـ.

هذه نبذة مختصرة عن مهمة عظيمة قام بها رجل عظيم في وقت كادت تضيع فيه الهوية بلغة دارجة ميسورة في أشعار يفهمها ويحفظها كل أحد لبساطتها وسهولة مأخذها وهو مقصد الشيخ منها.

ثم إنه غرس هذا في تلاميذه ولا أظنني مغاليا إن قلت: إن كتاب روضة الأزهار لتلميذه الشيخ كريم الدين البرموني والنور النائر لتلميذه الشيخ سالم السنهوري هما من كتب التراجم الليبية الأساسية.

الجـــــــــــــذور

لا يمكن أبدا لأي باحث في أي مجال ثقافي أو تاريخي أو اجتماعي في ليبيا أن يوفي المادة العلمية في بحثه ودراسته حقها ما لم يكن التصوف هو حاضرها الأول وعمود سنامها.
فالأدب بنثره ونظمه والمسرح والموسيقى والإلقاء والكتابة الإسلامية من فقه وتفسير وحديث شريف وأصول فقه وميراث والمؤلفات التاريخية التي حفظت تاريخنا ودونته وموسيقى التراث من مالوف وموشحات ومدايح والطبوغرافيا والنمو السكاني حول مواقع سكنى ومدافن الأولياء والصالحين والتعليم الذي احتضنته الزوايا طوال عملاها كلها صوفية اللحمة والسدى.
وكم يحز في النفس الموقف الغريب المخالف بل المضاد للمنهج العلمي المعارض لأبسط قواعد البحث والمعرفة الذي يتخذه بعض من يُفترض فيهم تشجيع النشاط الأكاديمي الجامعي التخصصي فإنك إن ذكرت لهم التصوف ورجاله وأثره الإيجابي في المجتمع بادروا إلى معارضتك مستشهدين بنتف سلبيات يلتقطونها من هنا وهناك ويجتهدون في تكبير صورتها وتضخيم مظهرها قائلين هذا هو التصوف.
لقد أضاع هذا الموقف المتخلف على البلاد مصالح علمية وثقافية عديدة وصرف طلابا ومهتمين وباحثين عن تاريخ بلادهم وتراثهم وثقافة مجتمعهم.
لو تأملت في دول عربية مجاورة مثل مصر والسودان والمغرب والعراق وسوريا واليمن لرأيت اهتماما بالغا جدا بالتصوف ورجاله وتاريخه وتراثه ولا أستطيع أن أحصي ما عندهم من بحوث قيمة ودراسات ناجحة مضطرة عن هذه المواضيع الهامة.
وفي الوقت الذي يُثني فيه شيخ الأزهر د.عبد الحليم محمود رحمه الله في كتابه المدرسة الشاذلية ص 372 على كتاب كنوز الأسرار للشيخ عبد الله الهاروشي (ت1175هـ) في تونس وينقل عن بعض أساتذته قوله في الصلوات والأدعية التي به: لم أجد في طريق الله أسرع سبيلا إلى الفتح وأقرب طريقا إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأجلب لرضا المولى سبحانه من هذه الصلوات إنها سبب في تذليل صعوبات الحياة كتفريج الكروب وإدرار الرزق وقضاء الحوائج. ا.هـ.
وتقوم مطبعة الأزهر مشكورة بطباعة هذا الكتاب ويُباع في مصر بالآلاف والآلاف يجهل مثقفونا ومتعلمونا وطلابنا تماما الشيخ أحمد بن جابر النايلي وهو متصوف ليبي عاش في طرابلس وتوفي في (1137هـ) ودفن في صرمان وهو شيخ الهاروشي وأستاذه ومعلمه

ومربيه وملقنه جل ما حواه كتابه كنوز الأسرار.
من المواقف المحرجة التي أتذكرها بكل خجل سؤال من أخينا وحبيبنا في الله د. أسد الدين جرها وهو مستشرق مسلم يركز أبحاثه العلمية على منطقة غرب أفريقيا وكان في زيارة لنا سنة 1991م، قال متحدثا عن زاوية الكانمي التي هدمها القائد العسكري القره مانللي محمد المكني سنة 1813م في مرزق وألقى مكتبتها العامرة في السبخة:
إن أثر زاوية الكانمي في منطقة غرب أفريقيا من القوة والأهمية بمكان لا يمكن إلا الوقوف عنده ودراسته وإن بعض علماء غرب أفريقيا المبرزين في تلك الآونة كانوا تلامذة وأساتذة بهذه الزاوية وإن مكتبتها كانت تحوي مراجع إسلامية كثيرة وهامة نسخ منها باليد علماء تلك المنطقة كتبا عدة بل إن حكاما ووزراء غرب أفريقيا كانوا يبعثون طلاب العلم لزاوية الكانمي في مرزق ويولون تلامذتها مناصب القضاء عندهم والإمامة والخطابة والتدريس كما يوقفون عليها الأحباس والأوقاف لتنفق على العلم وأهله بها ويمرون بها في طريقهم للحج ويطلبون من مشايخها الدعاء والنصح.
ثم ألحق كلامه هذا بقوله: ولكنني لم أجد عندكم أي كتاب أو بحث أو دراسة عن هذه الزاوية بل لم أجد من يعرف عنها شيئا، بما تعلل ذلك؟ ا.هـ.
كان الموقف مخجلا ولم أجد ما أعتذر به عن تقصيرنا بل تفريطنا هذا، ولثقتي في سعة اطلاعه على الكتب مخطوطة ومطبوعة امتنعت عن أن أقترح عليه بعض المصادر التي عاصرت ازدهار الزاوية فلا ريب أنه قرأها من الغلاف إلى الغلاف وغاية ما أمكنني قوله:
إن تاريخ زاوية الكانمي في مرزق بالإمكان جمعه وتوثيقه ولن نعدم مصادرا تعيننا في ذلك وإنه ليس أدل على احترامها وتقديرها في قلوبنا من زيارة بعض كبار نسوة مرزق لها وقراءة الفاتحة فيها وتبخير أطلالها.
في الجهة المقابلة للدكتور أسد الدين النقيض تماما فكم من طالب تقدم بمقترح بحث عن الطرق الصوفية أو أحد أعلام التصوف أو تحقيق بعض كتبه فصرفه مشرف البحث عنه، ومنهم من يحصل على الموافقة ثم يُطالَب بتغيير الموضوع بعد أن كان قطع شوطا فيه والبعض يوافق على أن يكون هذا العمل وسيلة نقد واستخفاف بالتصوف وأهله هذا إضافة إلى ندرة مراجع التصوف الليبي ومصادره مما جعل طلاب العلم يحجمون عن خوض هذا البحر الزاخر بالقيم والعطاء.
طالبة من بنغازي أنجزت قدرا حسنا من بحث يتناول الأسانيد الصوفية وراجعتني في ذلك فنصحتها بتناول موضوع صوفي أخر لصعوبة تخصص الأسانيد الصوفية وندرة المشتغلين

بـه، إذ لا يتجـاوز عـدد أسـاتذته وبحاثـه منـذ صـدر الإسـلام حتـى يومنـا هـذا كوكبـة محـدودة معروفة ففعلت، ثـم اضـطرت لتغيير وجهـة بحثهـا إلـى عنـوان لا علاقـة لـه بالتصـوف بعـد النكير عليها وعلى موضوع بحثها.

طالب يعد دراسة عن سيدي عبد النبي الأصفر وهو صوفي عـاش فـي أبـي ماضـي بـالجبل الغربـي، عاصـر الشـيخ أحمـد زروق (ت899هــ) ، وكانـت بينهمـا مراسـلات مكتوبـة وحوارات علمية كريمة شجعته عليها ونصحته بتخصيص مبحث في دراسته للشيخ البرقي المشاي ضجيع الشيخ عبد النبي في أبي ماضي، بعد أن سردت له شيئا من تاريخه وأهميتـه كأحد أنقى وأثبت الأصول الشريفة انتسابا لسيدنا محمد صلى الله عليـه وآلـه وسـلم فـي المغرب العربي، وذكرت له رحلته من جبل العلم في المغرب إلى ليبيا والحفاوة التـي كـان يُقابل بها حيثما حل، بل يقارب في الأهمية مكانـة جده سيدي عبد السلام بـن مشيش (ت625هـ) ، وإنه ببعض الاهتمام والتعريف بـه يتحول إلى أحد أكبر مزارات السياحة الدينية في ليبيا وفي هذا نفع كبير .. ولحق بهذا البحث ما لحق بعشرات قبلـه، وإنـا لله وإنـا إليه راجعون.

ولا أريد أن أستقصي في جلب الشواهد، فالرشفة تنبئ عن مذاق النهر.

<u>أقول:</u> العلم لا يعرف الجمود والأسرار، ولا يأبه بـالقيود والأسوار، ولا يحتـرم التقوقـع والاحتكار، وكـل مـن يعتقد غير ذلك لا يمت للعلم وأهلـه بصـلة وإن حمـل كـل شـهادات ومؤهلات العالم.

وإنك إذا ما رأيت شجرة قوية زاهية المرأى مخضرة الأغصان محملة بـالأوراق والثمـار ناشرة ظلها، فاعلم أن جذورا قوية أصيلة ممتدة ضاربة في الأعماق هي مصدر ذلك كله.

التصوف هو رائد المسرح في ليبيا

الهواء عليل ونسمات الشمال تلطف الجو في هذا الوقت من الصباح والشوارع خالية من الضوضاء والجلبة أمد يدي إلى شريط أضعه في المسجل وأضغط زره لتنساب منه نغمات أخاذة شجية بأصوات جميلة ندية تردد بعض قصائد المولد النبوي الشريف.

أتذكر جيدا هذا الشريط فقد سجلته منذ أكثر من ربع قرن في زاوية الشيخ مصطفى بو غراره في حي الماجوري ببنغازي، كانت الزاوية ممتلئة بالحاضرين ويتناوب على إنشاد القصائد اثنان من معمري المداح في بنغازي هما الشيخ يوسف مرسي وهو رجل كفيف البصر من أهل القرآن الكريم والشيخ رجب البكوش ونحن نتحلق حولهما مأخوذين بروعة ما نرى ونسمع مشدوهين بإبداعهما في هذه السن المتقدمة.

كان كلاهما رحمهما الله قد بلغ من الكبر عتيا أما أصواتهما فكانت رخيمة شابة صادحة زادتها الخبرة ومهارة الأداء حلاوة ونقاوة وطلاوة ولكليهما ذاكرة حافظة للقصائد والموشحات الصوفية بطبوعها وأوزانها ونظمها كانا في الحقيقة ثروة من التراث حية.

ولكن هذا ليس كل شيء فأحدهما كان من رواد المسرح ومؤسسيه ونوابغه في ليبيا ذلك هو الشيخ رجب البكوش وهو شخصية صوفية جديرة بالوقوف عندها طويلا ودراستها.

ولد الشيخ رجب البكوش سنة 1911م وانتسب منذ شبابه المبكر للطريقة العيساوية بزاوية بو مدين وشغف منذ نعومة أظفاره بالمسرح وفنونه فثقف نفسه مسرحيا بالإطلاع والقراءة ومتابعة زيارات الفرق المسرحية والغنائية الليبية وقتها ثم أسس بمجموعة من أصدقائه في سنة 1936م فرقة الشاطئ للتمثيل المسرحي واستأجروا منزلا ليكون مقر هذه الفرقة وألف لهم الأديب عمر فخري المحيشي الذي يرأس تحرير صحيفة {ليبيا المصورة} مسرحية بعنوان {الوفاء العربي} وهي أول مسرحية تعرض في بنغازي من قبل فنانين من المدينة نفسها.

كما ألف الشيخ رجب البكوش عروضا كوميدية أخرجها ومثلها أيضا، منها: {كأس الدماء} و{شاهد الزور} و{الكذاب} و{مظلوم} و{الصديق الخائن} ...وغيرها ولاقت رواجا وإقبالا كبيرين.

ثم ألف وأخرج ومثل رائعته العظيمة مسرحية {الشيخ إبراهيم وأنيس الجليس} وقدمها على خشبة المسرح في بنغازي.

واصل الشيخ رجب البكوش عطاءه المتميز على خشبة المسرح الشعبي في بنغازي وفي

محل عمله في مصيف جليانه ببنغازي حيث كان يقدم عرضا مسرحيا كل ليلة جمعة بنصوص من تأليفه وإخراجه وممثلين من اكتشافه وصقله.
كُرم الشيخ رجب البكوش في يوم الفن بدرنه في 1974م كما مُنح وسام الريادة في 1989م في عيد الوفاء إضافة لعشرات شهادات التقدير والتكريم كل ذلك مع إتقان تام لفن المدايح النبوية والقصائد الصوفية ومداومة حضور حلق الذكر والموالد إلى أن توفي في بنغازي في 1994م.
وكما يسجل للشيخ الصوفي رجب البكوش بأحرف التقدير والعرفان أنه مؤسس المسرح في بنغازي فإنه يجدر الفعل نفسه وأكثر لصوفي مسرحي رائد آخر هو شيخ الطريقة القادرية في طرابلس عبد الله جمال الدين الميلادي مؤسس المسرح الغنائي الليبي.
ولد الشيخ الميلادي في طرابلس سنة 1881م وتوفي في 1963م وأسس في الزاوية القادرية بالفنيدقة بطرابلس فرقة من تلاميذه أشرف على تعليمهم وتطوير ملكاتهم وقدم بهم في سنة 1920م أول عرض مسرحي غنائي في كل ليبيا طوال تاريخها الإسلامي وكان من تأليفه وإخراجه واختياراته وألحانه وتوزيعه ومشاركته في الأداء على أرض مدرسة مكتب النجاح بطرابلس، وابتدئ العرض بالترحيب بالضيوف المشاهدين:

سادتي آنستمُ *** سادتي شرفتمُ
سادتي يوم سعيد *** فيه قد حللتمُ

أهلا وسهلا ومرحبا

وقد كرمته البلاد بإطلاق اسمه على المعهد العالي للفنون بطرابلس وأسدى الأستاذ علي مصطفى المصراتي للتاريخ الأدبي في ليبيا خدمة جليلة بكتابه الذي ألفه عن الشيخ الميلادي حوى جهاده ضد الايطاليين بالشعر والموسيقى فجزاه الله خيرا.
عندما أتكلم عن المسرح فإنني أعني ذلك المرفق التعليمي الثقافي التربوي الملتزم بقيمه الموظف امكاناته لمصلحة مجتمعه لا سواه المسرح الذي غُرست جذوره وبسقت أغصانه وتهدلت ثماره دانية في ليبيا في رحاب الزوايا الصوفية بجهد مؤسسيه المتصوفين وسهرهم عليه وتنميتهم مادته.
لم ينقطع عطاء التصوف للمسرح الليبي حتى اليوم ولا زلنا نتشرف بكل فخر ببعض المتصوفين الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية بناء المسرح الملتزم نصا وتمثيلا وإخراجا نراهم بكل حب امتدادا لأولئك المؤسسين الكرام وتتمة لجهودهم السالفة.

وقد أثلج صدورنا وزاد حبورنا وسرورنا أن يكون الفنان القدير أ.صالح بالسنون أحد المكرمين العشرة على مستوى الطريقة العيساوية لسنة 2001م بما يعنيه ذلك من مثالية وصفات كريمة أهلته لهذا التشريف الكبير بعد مسيرة عطاء استمرت من سنة 1984م منذ أن كان طالبا في معهد جمال الدين الميلادي إلى اليوم ألف خلالها 28 عملا غنائيا ساخرا ومسرحيتين وأخرج مسرحية واحدة وشارك بالتمثيل في 14 مسرحية وقدم للإذاعة المرئية 9 أعمال ما بين مسلسلات وتمثيليات ومثل أدوارا على خشبات مسارح عربية عدة منها الرياض والقاهرة وأصيلة والجزائر العاصمة وقرطاج ودمشق، فتحية حب ودعاء له بالتوفيق والسداد ودعاء لمن ذكرنا ممن سبقه بالرحمة والمغفرة.

وأعود إلى الشريط وأسبح في بحر من الجمال والاطمئنان مع صوت الشيخ رجب البكوش، ينشد:

الله أكبر إن دين محمد *** وكتابه أقوى وأقوم قيلا

لا تذكروا الكتب السوالف قبله *** طلع الصباح فأطفأ القنديلا

التقاط الدُّرر

لا أعنى بهذا العنوان ذلك الكتاب النفيس المُسمى {التقاط الدرر} للصوفي الكبير الشيخ محمد بن الطيب القادري وإنما أعني به احدى أهم مهام الزاوية من خلال الشيخ المُربي أينما وحيثما وجد إلا وهي اكتشاف مواهب وملكات المريدين وتنميتها وصقلها وتشجيعها والدفع بها إيجابا بما يحقق طموحاتهم الظاهرة والباطنة فالدرر هم والملتقط هو.

ما من إنسان في الدنيا إلا وتفضل الله سبحانه عليه بمواهب ييسر بها عيشه ويحقق من خلالها ذاته بين أفراد مجتمعه ويشعر جراءها بالتوازن النفسي ومشاعر الرضا تغمر حياته فتحيلها سكينة وطموحا وانجازا.

وهذه المواهب والملكات المودعة في خلق الله مختلفة متباينة فمنها العلمية والثقافية والأدبية واليدوية والقيادية والرياضية والاجتماعية وغيرها.

وينتسب إلى الزوايا الصوفية في بلادنا آلاف المريدين ولا يخلو واحد منهم من مواهب وملكات وتبقى الحاجة إلى الشيخ المُربي الذي يعرف ببصيرته مواهب كل واحد منهم فيأخذ بيده مشجعا حتى يجلوها ويضع رجله في الطريق الصحيح الذي يحقق من خلاله ذاته وهذه الوظيفة للشيخ المُربي إنما هي في الحقيقة اتباع لسُنة نبوية كريمة، إذ كان صلى الله عليه وآله وسلم يجتمع عليه عشرات الآلاف من الأصحاب وفي رواية للحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه {الإصابة} إنهم أكثر من 114ألف صحابي بكثير وينظر صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآلاف الغفيرة ببصره الكريم وببصيرته النافذة فيعرف خصوصية كل واحد منهم وما حباه الله به من ملكات ومواهب فيأخذ بيده الكريمة أيديهم فإذا بهم رجال لا كالرجال عظماء حيثما كانوا تنحني أمام فتوحاتهم وعلومهم وحضاراتهم هامات التاريخ والجغرافيا وتتعلم منهم شعوب الدنيا.

خالد بن الوليد والمقداد وزهير مواهب عسكرية، الصديق والفاروق وذو النورين مواهب قيادية إدارية، حسان وكعب ولبيد مواهب أدبية، العبادلة السبعة مواهب فقهية علمية، علي بن أبي طالب موهبة جامعة ....و..وو.

ولا يضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأديب محل القائد العسكري ولا الفقيه مكان الإداري بل كل رجل في مكانه الصحيح فلا غرابة أن يكون كل صحابي كريم في الذروة فيما قلده مربي الإنسانية صلى الله عليه وآله وسلم من أعمال وأناطه به واجبه من مسؤوليات ومهام.

والشيخ المُربي على قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متبع لسنته منتهج لكريم سيرته فوجب أن تحوي شخصيته هذه المقدرة التربوية القويمة.
الشيخ أحمد زروق والشيخ عبد الواحد الدكالي والشيخ بو راوي والشيخ رحومه الصاري تربوا على أيدي المشايخ في مجالس الذكر ورحاب الزوايا وهم اليوم من أعلام العلم وأساطين المعرفة وقلما تجد كتابا في الفقه المالكي ولا ذكر للشيخ أحمد زروق به.
الشيخ أحمد الشارف والشيخ صالح الزنتاني والشيخ إبراهيم حويوي كانوا مواهب مطمورة فالتقوا بالشيخ الطاهر التباني فصقل مواهبهم وملكاتهم بصحبته فإذا بهم اليوم صفحات مشرقة في تاريخنا الأدبي فهم أعلام الشعر الصوفي في ليبيا.
الشيخ جمال الدين الميلادي والشيخ رجب البكوش صقلتهم المربون في طرقهم الصوفية وسطر لهم التاريخ بأحرف من فخار أنهم رواد المسرح في ليبيا.
أخي الحبيب يا من وضع الله في عنقك مسؤولية الزاوية انظر في المريدين المجتمعين عليك ادرس فكرهم اسبر غورهم جالس كل واحد منهم على حده اسأله تلويحا أو تصريحا حادثه اعرف مكنون مواهبه وخصائص طباعه وميوله فهذه أول خطوة على الطريق ثم امدد يدك مشجعا ناصحا ملحا لهذا المريد وذاك في جمع وانفراد حاضا له على الانتقال من طور التمني إلى طور العمل ثم انظر عمله وسيكون بسيطا خجولا في بدايته فلا تسخر منه وإنما انظر إلى عمله بعين الحنو والقبول والإعجاب وشجعه على التحسين والتطوير.
قد يكتب قصيدة وليس بها من الشعر إلا اسمه أو يرسم لوحة لا علاقة لها بالرسم فنا وأداء من قريب أو بعيد أو يكتب عملا أدبيا بينه وبين الأدب بُعد ما بين المشرقين ولكن ثق أنك بصبرك وحلمك ونصحك وإرشادك ستذهل مما سيكونه.
قلد ذلك النشط ذا الملكة القيادية أعمالا وحمله أثقالا ولا تراجعه أو تخطئه في ملأ وتكفيك الإشارة إلى الصواب من طرف خفي وسيكون كما تحب بل ربما فوق ما تحب، قسم المسؤوليات في الزاوية ووزعها فاجعل فيها من المريدين مسؤولا عن النشاط الأدبي وآخر عن العلاقات الاجتماعية وستجد نفسك أديت واجبك وربيت رجالا.
يحزنني كثيرا ذلك المنظر الكئيب لزاوية يجتمع بها مريدون على شيخهم يقرءون الحزب ويضربون الدفوف لسنين وما زاد أحدهم علما أو عملا على يوم انتسابه للزاوية خطوة واحدة.
التصوف حياة سعيدة متوازنة وآفاق فكرية وثقافية واسعة وعلم ومعرفة وعمل بأوامر الشرع الكريم ونواهيه وريادة وسمو فعلامنا نغفل عن كل هذا ونكتفي بقشور لا تمت

للجوهر بصلة.

لماذا تخلو زوايانا من المكتبات وأرفف الكتب والندوات العلمية والدروس النافعة واستضافة العلماء والمثقفين في شتى التخصصات للاستماع منهم ومحاورتهم.

العلم والتصوف توأمان ولدا من رحم واحد فعلامنا نفرق بينهما؟.

طريق الخير

ثلاثة عشرة قرنا من الزمان على الأقل هو عمر التصوف في ليبيا، مر خلال ذلك بمراحل ومنحنيات عدة وحظي بشيوخ كرام ورجال أجلة كانوا قدوة صالحة علما وعملا وسلوكا فتأثرت بهم مسيرته إفادة وعطاء.

التصوف نشاط إنساني بطبعه لذا فهو يتأثر بالمناخ العام لمجتمعه سلبا وإيجابا فتراه يزدهر ويربع أحيانا ويخبو ويجمد أحيانا أخرى مترافقا في ذلك مع بيئته وظروفها.

والتصوف مدارس متفقة الهدف مختلفة الأساليب فهو آونة يعمر المساجد بالعلم والذكر والدرس، وتارة يرابط على الثغور لصد الهجومات التنصيرية خصوصا بعد سقوط الأندلس حتى سُمي بعض هذه الرباطات بأسماء من أنشأها أو عمرها من المتصوفين كسيدي محمد الأندلسي في تاجورا وسيدي بن مرباط في مصراته وسيدي بو عزه في درنه وسيدي حسن بن غازي في بنغازي.

وأحيانا يؤلف الكتب وينشر الثقافة الإسلامية كابن غلبون وكتابه التذكار وأحمد البهلول وتخميساته العظيمة، وأخرى يحمل السيف ويمتطي الجواد مدافعا عن وطنه وهويته كشيخ الشهداء عمر المختار والشهيد الفضيل بو عمر قادة الجهاد ضد الايطاليين الغزاة والشهيد عبد القادر مسعود محرر قلعة القاهرة بسبها من الاحتلال الفرنسي.

ولكنك تجده في آونة أخرى – للأسف – ينكفي عن أهدافه ويتقهقر عن انجازاته ويجمد عن سعيه ويتوقف عن سيره.

ولأن أنفس المغرضين جُبلت على الاستعجال بالسيئة قبل الحسنة فإنهم يوارون انجازات التصوف في مجتمعه علميا وجهاديا وخلقيا وحضاريا ويقصونها عن البحث وينظرون فقط إلى سلبيات ألصقها به بعض كارهيه ومنتحليه جهلا به ظلما أو عدوانا.

والإصلاح وطلب الأكمل سمة الإنسان العاقل المتحضر وهو منهج التصوف الذي لم ولا ولن يحيد عنه، بل دأب عليه المتصوفون مذ كانوا وما هؤلاء الأفاضل من رموز التصوف في بلادنا كسيدي عبد السلام الأسمر وسيدي عبد الواحد الدكالي وسيدي أحمد زروق وسيدي حامد الحضيري وغيرهم ممن تنتشر مزاراتهم في ربوع بلادنا إلا مجددون كرام نبذوا عن التصوف في عصورهم ما شانه وحلُّوه بما زانه ولا زالت بصماتهم ظاهرة في مجتمعنا الصوفي نجدها في دراستنا لكتبهم ومؤلفاتهم ونتناقلها في سير حيواتهم وأبيات نظمهم وقصائد أشعارهم.

ولم يكن إصلاح المنهج الصوفي في يوم من الأيام سهلا ميسرا في مجتمعنا قط أفضل منه اليوم، فمرض الأمية الذي عانت منه ليبيا عبر قرون من الفقر والعوز والحروب ذهب بفضل الله إلى غير رجعة والعلم في وقتنا بحمد الله في كل منزل وصار من شبه المستحيل أن تجد من لا يعرف القراءة والكتابة بإمكانه الإطلاع وتثقيف نفسه، وأبواب المعرفة من إذاعات مرئية ومسموعة في كل دار، والكتاب الذي كان يحتاج عاما لنسخه باليد واقتنائه يُشترى اليوم بأزهد الأسعار من أول مكتبة في ناصية الشارع، والكراسات والأقلام بدراهم معدودة، والمراجع الضخمة والكتب المتخصصة بالمئات في المكتبات العامة، والعلماء يزينون مجتمعنا بتخصصاتهم الأكاديمية لا يبخلون بالفتوى والنصيحة، كما لا يكاد يخلو شارع من مسجد تُقام فيه خطبة الجمعة ويُعلم القرآن الكريم للأطفال والناشئة.

كل هذا يدعونا للاستفادة القصوى من هذا المناخ الجيد وإعادة النظر في سير زوايانا وتقييم مناهجنا الصوفية وتطوير أساليبها ورسم أهداف علمية وثقافية ثم صوفية في كل زاوية ثم لنسعى لتحقيقها ونبذ ما لا يتفق وروح التصوف وآدابه وإقصاء المعوقات.

يجب أن ننقي ساحة التصوف الناصعة مما نُسب لها وهي منه براء بعد أن حُسب عليها المجنون الذي يسير في الشوارع يهذي لا يعقل ما يقول وسُمي (مجذوبا) وحاشا للجذب الرباني أن يكون صاحبه فاقد العقل، والعاطل باختياره عن العمل الذي ينام إلى الظهر ويأتي الزاوية لقتل وقت الفراغ، والمُعرض عن طلب العلم الضروري كأحكام العبادات من طهارة وصلاة وصوم، وقاطع الصلاة ومن لا يتورع عن اتيان المعاصي والمناهي الشرعية والساعي بالفتنة المشتغل بحوك الدسائس والمؤامرات للنيل من هذا وتقريب ذاك.

التصوف روح الإسلام لا مكان فيه للدجل وأكل أموال الناس بالباطل ونحوه مما نهى عنه الشرع الحكيم.

كل هذا لا علاقة للتصوف به وتسبب للأسف في اصدار أحكام غير منصفة نسمعها ونحزن لها من هنا تارة ومن هناك حتى صار التصوف عند البعض مرادفا للدروشة والشعوذة والتخلف ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يجب أن نعيد النظر جملة وتفصيلا في مسميات بعيدة عن الحق وأهله فالتصوف علم وليس جهلا عطاء وليس خمولا نقاء وليس كدرا حضارة ورفعة وسمو فكري وإخلاص تعبدي.

التصوف وحلم الوحدة العربية

منذ أن بدأت الدول العربية في منتصف القرن المنصرم في نيل استقلالها الذي قدمت في سبيله ملايين الشهداء وخاضت لأجله بأياديها العزلاء واقتصادها المعدم ضد جيوش باغية مدججة بالعتاد والعدة وآلة الظلم والعدوان الضارية أقسى المعارك وأشدها ضراوة.

ولا نحتاج إلى شرح ضاف لتوصيف ذلك فيكفي أن نشاهد اليوم في وسائل الإعلام ما تفعله الآلة الصهيونية الهمجية ضد أشقائنا في فلسطين وقتل الأطفال والنساء وتحويل الناجين منهم إلى دروع بشرية ودك البيوت على رؤوس أهلها وهدم المدارس ودور العبادة والغرب من ورائها يفتري أكبر كذبة عرفها التاريخ إذ يحول المفترس المتلبس بجريمته الآثمة وبراثنه غارقة في دم الأبرياء ولحوم الأطفال في أنيابه ضحية، والضحية الجائعة المحاصرة المُثخنة بالجراح معتدية وما أشبه الليلة بالبارحة.

أقول منذ أن نالت الدول العربية استقلالها وهي تسعى نحو وحدة كاملة تجمع شملها وتُمكنها من العيش قوية قادرة في عالم الأقوياء القادرين، وحالت وتحول معوقات يعرفها القاصي والداني دون ذلك.

ولا توجد أمة في الدنيا بها كل أسباب الوحدة لغة ودينا وعادات وقيما وماض وحاضر ومستقبل وجغرافية وتاريخ وكل شيء ومع هذا مشتتة متفرقة إلا نحن، وتوحد المختلفون ونزداد نحن تباعدا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

ويعتبر التصوف من عوامل وحدتنا العربية التي يجب أن نوليها قدرا من الاهتمام يليق بها خصوصا وقد نجح في تحقيق نسيج وحدوي عربي عجزت عنه كل مؤتمرات القمة العربية وجامعة الدول العربية واجتماعات وزرائها ولجانها المتعددة، وذلك أنك تجد الصوفي في الطريقة القادرية مثلا من أم درمان ويزور شيخه سيدي عبد القادر الجيلاني في بغداد ويحضر في طرابلس حلقات الذكر مع متصوفيها ويتمازج معهم كأنه عاش كل عمره بينهم، والصوفي في الطريقة العروسية من صفاقس يزور شيخه سيدي عبد السلام الأسمر في زليتن ويحضر في الاسكندرية حلق الذكر واجتماعات متصوفيها، كل هذا في يسر وانسياب بلا أي نظر لفوارق اقليمية ضيقة أو اقتصادية مؤقتة أو اجتماعية طارئة، وإذا علمت أن نسبة المتصوفين في مصر وحدها 10% وفي المغرب 18% وقست عليها تعداد السكان وعممت ذلك على باقي الدول العربية وجدت أن نسبة 25% على الأقل من العرب ينتسبون للتصوف بطرقه المتعددة.

وهم كما ذكرنا في وحدة حقيقية فعلية صنعتها وحدة مشربهم واتفاق منهجهم لا تهتم بحدود مصطنعة ولا تلقي بالا لحواجز وهمية وأدعوك لحضور الموالد وحلق الذكر لتلمس بيدك بعد أن ترى بعينك وتسمع بأذنك ما أعنيه.
ويحضرني وكنت وبعض الأحباب في زيارة سنة 1991م لسيدي الشيخ أحمد البدوي في طنطا بمصر إذ قدم علينا رجل تبدو عليه الوجاهة والصلاح يعتمر طاقية (معرقة) طرابلسية بيضاء على رأسه وهش في وجوهنا وبش وبالغ في الترحيب والحفاوة ثم أخبرنا أنه عرف من هيئتنا أننا ليبيين وأنه مصري من أهل طنطا من مريدي طريقة سيدي عبد السلام الأسمر ويحب ليبيا وأهلها لذلك أقصى ما يكون الحب ويعتمر طاقية طرابلسية على رأسه كشعار لهذه الوصلة الربانية التي يعتز بها وأنه يشغل منصبا مرموقا في محافظة طنطا ثم أضافنا وما افترقنا حتى أبكى العيون وأسال الدموع بلواعج محبته الصافية النقية.
وخبرني بربك أتستطيع مائة قرار عن مؤتمرات القمة العربية مصدقة من جامعة الدول العربية وكل لجانها وإداراتها أن تفعل بيننا معشر العرب عشر معشار هذا؟.
ثم قارن فعل هذا السيد وهو نموذج من آلاف المتصوفين العرب بمتعصبي الإقليمية في أقطارنا العربية الذين يعاملون اخوانهم بنظرة دونية ناتجة عن فروق في الدخل أو الثقافة لتتيقن مما قلته لك عن دور التصوف العظيم في توحيد أمة العرب قلبا ثم قالبا إن شاء الله.

سفير النوايا الحسنة

تحرص الدول على سمعتها نقية وصيانة اسمها عن شائبة قد تطاله لما يعود عليها جراء ذلك من منافع حضارية وسياسية واقتصادية واجتماعية، وهناك دول عدة تُشكل سمعتها مصدر عيشها الرئيس منها سويسرا صاحبة الحياد التاريخي وهاييتي على سبيل المثال.
ولو تأملت في هذه السمعة لوجدتها تتكون في مجملها من سلوك المواطن وتفاعله مع الأحداث الإنسانية ونشاطاته وردود أفعاله، وحالما يضع المواطن رجله في أرض دولة أخرى غير بلاده يكون مسؤولا بالكامل عن سمعة بلاده وأهل بلده وتكوين رأي الغير فيهم.
ولا أريد الخوض في مقدار الجرم الذي يأتيه أولئك الذين يرون الخارج ماخورا كبيرا فالسفر إلى دولة أجنبية يعني عندهم استباحة المحرمات وشرب الخمور وارتياد أماكن الزنا والفجور وديسكوات الرقص الصاخب وصالات القمار فهؤلاء علاوة على إثم اقتراف المعاصي المستوجب سخط الله تعالى وعقابه الأليم يسيئون إلى أنفسهم وإلى سمعة بلادهم من خلال أفعالهم، ولا زالت تحضرني صورة مقززة لعجوز عربي بملابسه العربية المميزة استوقفني مرة في شارع قلوستر رود بلندن ليسألني من دون مقدمات عن أفضل وسيلة لاصطياد مومس يقضي معها سهرته، ثم قال على سبيل التأكيد بعد أن وجدني لا أنطق بكلمة : أنت عربي أليس كذلك؟

قلت : بلى.

قال : وأنا أيضا.

قلت : لا أعتقد ،، ومضيت في سبيلي.

ولن تجد صوفيا نشأ في مجالس العارفين وتخلل الذكر والأوراد ظاهره وباطنه وصدح لسانه بالمدايح والابتهالات وتهذب سلوكه في حلق الطاعات وتربى في الزوايا وفق المنهج الإسلامي الكريم يرضى لنفسه السير في هذه الطريق الشائنة المنكرة.
فهو إذا ما زار دولة مسلمة كان أول سؤاله عن المساجد والزوايا ورجال التصوف والعلماء وأوقات حلق الذكر وتميل له قلوب أولئك القوم وتفتح له صدورها وتنطلق معه ألسنتها، فهو بطبيعته السمحة الطيبة وما تربى عليه من حسن خلق ونبل طباع يدخل القلوب من دون جواز سفر أو تأشيرة إقامة.
وإذا ما قصد بيت الله الحرام حاجا أو معتمرا كان كل اهتمامه الإتيان بالأركان كاملة والواجبات والفرائض والسُنن وزيارة المشاعر والآثار المقدسة ولقيا الرجال نهارا، أما

مساء فسل خيام منى عنهم وهم يتحلقون في جماعات متآخية لتلاوة الذكر والمدايح النبوية والإنشادات الربانية في تناغم روحي عميق مع جلال المشاعر المقدسة وجمالها.

وإذا ما قصد دولة أجنبية فهو الورع في نظره وسمعه ولسانه، السائل عن الذبيحة الحلال وموقع المسجد وأوقات الصلاة وساعات الإمساك والإفطار.

لكل ما ذكرنا في هذه العجالة وغيره من سني الطباع والشيم نال الصوفي بجدارة شرف تمثيل بلاده إنسانيا وكان بحق أهلا لهذه المهمة الخطيرة ويجدر بكل جهة معنية مسؤولة إذا ما تقدم لها صوفي حاجا أو معتمرا أو سائحا أن تفتح له أبوابها على مصارعها مقدمة التسهيلات ميسرة الإجراءات فإنها بذلك تسهم في نشر صورة مجتمعنا الليبي الصحيحة النقية الطيبة الكريمة التي نشرف به وتفتخر إرثا تالدا من أسلافنا الكرام تلقوه عن سيدي الشعاب وسيدي عبد السلام الأسمر وسيدي أحمد زروق وسيدي محمد بن علي السنوسي وسيدي حامد الحضيري وسواهم من متصوفة كرام نشروا مكارم الأخلاق في مجتمع جُبل على مكارم الأخلاق.

مع الصوامين القوامين

شهر رمضان الذي خصه الله تعالى بنزول القرآن الكريم فيه دون كل الشهور وأمرنا بالتشبه فيه بالملائكة الكرام بامتناعنا عن شهوتي البطن والفرج يحل بأيامه ولياليه المباركة فبشرانا بهذا الفضل بشرانا، قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القدسي عن رب العزة سبحانه: {كل عمل ابن آدم يُضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به}.

وللصوم ركنان هما:

النية قبل فجر أول أيام الصيام والنية محلها القلب فمن نوى صيام كل شهر رمضان صحت نيته بل من قام للسحور فقد نوى.

والركن الثاني هو الإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

وله سنتان هما:

تعجيل الفطر وتأخير السحور.

وله فضائل كثيرة أهمها:

ألا يفطر إلا على حلال، ويرضى بما قسم الله، ولا يغفل عن ذكر ربه، ولا يخاصم، ولا يرد على من شتمه أو سبه إلا بقوله: اللهم إني صائم اللهم إني صائم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الستة: {الصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل إني صائم إني صائم}.

ولا يفطر الصائم:

القيء قهرا، أو قبلة الرجل زوجته أو قبلة الزوجة زوجها، أو نومهما في فراش واحد، أو أن يصبح الصائم محتلما، أو غبار الطريق، أو غبار الصنعة لمن يعمل في طحن الحبوب مثلا أو الحرث.

حكم الصوم :

كثيرة لا يحصيها إلا الله تعالى، فمنها:

(الحكمة الشرعية) إذ يغمر الصائم شعور عام بالعبودية لله تعالى حتى أنه لا يتصرف في

نفسه من أكل وشرب وجماع إلا بأمر مولاه سبحانه فينشط لعمارة الأوقات ويتشبه بالملإ الأعلى وينظر متأملا في هذا الكون الواسع الذي خلقه الله تعالى وسخره كله بحيواناته ونباته ومعادنه وترابه للإنسان فامتثلَ وأمر الإنسان بأن يكون لله وحده فأمره بأوامر ونهاه عن نواه فليمتثل وإلا قصر عن رتبة الحيوان والجماد.

(الحكمة الصحية) إذ يترك الصائم الأكل والشرب فتقوى معدته والمعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء فتصح الجوارح لصحة المعدة وتقوى.

(الحكمة الاجتماعية) إذ يؤدب الصوم الغني فيشعر بمرارة الجوع وشدة العراء وألم الظمأ فيعطف على الجائع ويحسن إلى المحتاج ومن لم يجع أو يعطش لا يعرف ما يقاسيه الفقراء، ويهذب طباع المسؤول إذ بفقده لمشتهياته خضوعا لسلطان الشريعة يحس ما يقاسيه من يعملون معه بخضوعهم لسلطان الحاجة فلا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون أو يغلظ لهم القول.

تارك الصيام :

لا خير فيه لأحد فمن يُغضب ربه لا يُتوقع منه ألا يُغضب المخلوق من أب وأم وأخ وجار وسواهم، وهو شر على الأمة وعلى وطنه وعلى أسرته لأن نفسه نفس إبليسية وحشية أنانية وواجب الأمة أن تُقوم مفطر رمضان عمدا فلا تجامله بل تظهر له الإنكار.

والإنسان مزيج من مادة كثيفة وروح لطيفة فإذا ما صام غلبت روحه ذات المعاني السامية مادته ذات الاهتمامات الزائلة الفانية وتحلى بالرحمة والعطف والشفقة والإحسان والود ومكارم الأخلاق.

وإنني أتصورك – بُني بُنيتي – المنتسب لطريق القوم السائر على مناهج السادة المتصوفين المعدود في جملة مريدي الطرق الصوفية الصادقين فرحا حَبورا بهذه الفرصة العظيمة التي يتيحها لك الله أن تُدرك هذا الشهر الكريم ملبيا لدعوته الربانية الكريمة لك لعمارة أوقاتك في شهر القرآن والإيمان بالطاعات والقربات.

أعيذك مما عليه كثير من الغافلين الذين يصومون عن الطعام والشراب وهو مباح في غير شهر رمضان ويقعون فيما هو حرام طوال العمر من غيبة وكذب ونميمة وغش وخيانة وحسد، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: {الصوم جنة ما لم يخرقها بكذب أو غيبة - رواه ابن عدي والطبراني والدارمي} وقال في حديث آخر: {خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة - رواه الأزدي وللإمام الغزالي بحث لطيف

عليه في الإحياء}.

لذا فالصوم عندنا يقظة تامة تحول دون الوقوع في الحرام والمكروه ولا نسميه صوما حتى يتحقق فيه حفظ الجوارح الست، وهي:

1. غض البصر.
2. صون السمع.
3. الامتناع عن القعود مع أهل الباطل.
4. حفظ اللسان.
5. كف اليد عن أن تُمد إلى حرام.
6. مراعاة القلب بقطع الخواطر والأفكار الرديئة عنه.

أراك – بُني بُنيتي – بعد أن تفرغ من عملك لمعاشك وتحصيل رزقك ترجع إلى دارك فتستريح قليلا ثم تتلو من كتاب الله الكريم ما تيسر ثم تقرأ من كتب علوم الإسلام لتتعلم ما يقربك إلى الله تعالى داعيا في كل أوقات شهر رمضان، إذ يجابُ فيها الدعاء جميعها كابحا لشهوات النفس الأمارة بالسوء التى إن لم تع أسرار الصوم وحكمه تقوى فتطمع فتميل إلى الحرص على الدنيا والحماقة والخيانة والبغض، فإذا ما صمت طهرتها وزكيتها شفت أمراضُها وصفا جوهرُها.

أراك حريصا على بر والديك في هذا الشهر الكريم، فالشاب يريح والده من أعماله والتزاماته، والشابة تمد يدها بالعون إلى والدتها في أعمال المنزل لا أن تقضيا كل النهار في النوم وكل الليل في السمر والسهر ويتحول الوالدان إلى خدم عندكما يكدحان ويعملان لكما ما تشتهيان من أصناف الطعام والملبس والمشرب وأنتما منصرفان عنهما غير مقدرين لجهدهما وسنهما التي قد تتأثر بالصوم فتقعدهما.

أراك تصل رحمك من جد وجدة وعم وعمة وابن عم وقريب وصهر وحبيب وجار وتعمر ليالي الشهر الكريم بالقيام في صلاة التراويح والتهجد آخر الليل وتجالس الصالحين تسمع منهم وتقتبس من سمتهم وهديهم ونصحهم وبركتهم وورعهم وتغشى حلق الدرس والذكر والمذاكرة في زاويتك مع شيخك وإخوانك تحيي ما في ليالي رمضان من ذكريات إسلامية كريمة بالتأمل والتمعن في معانيها وفضائلها وتختم شهر العطاء والبركة والنماء بزكاة الفطر تخرجها من حر مال حلال ثم تخرج متطيبا بلباس جديد أنيق يظهر عزة المسلمين وقوتهم إلى صلاة العيد ذاكرا مكبرا.

هكذا أتمنى أن أراك وأن أسمع عنك.
وأسرد عليك صنوفا من الصوم وأترك لك اختيار ما يناسب حالك ويوافق مقامك، وإن كنتُ أعلم بأن من انتسب للتصوف لا يرضى بما دون الكمال ، فأقول لك للصوم صنوف عدة، منها:

صوم العامة:

وهو الاقتصار على ترك الأكل والشرب والنكاح.

صوم العلماء :

وهو ترك شهوتي البطن والفرج مع حفظ الجوارح من الاستطالة فلكل عضو صيام عندهم. فصيام اللسان ترك الكلام إلا في ذكر الله، وصيام الأذن ترك الإصغاء إلا إلى طاعة أو علم، وصيام الأرجل ترك السعي إلا في طاعة ... وهكذا.

صوم العارفين:

وهو عمارة الأنفاس بمراقبة الله تعالى.

صوم المقربين: وهؤلاء لا يخطر عليهم ما سوى الله حتى كأنهم طوال عمرهم في شهر رمضان.

صوم المحبوبين: وهؤلاء يعلمون أن رمضان شهر الله تماما كما كانت الكعبة معظمة لأنها بيت الله فداوموا الحضور مع بارئهم فيه تعظيما لشرف النسبة .

الصوم - بُني بُنيتي – جهاد بالنفس وسياحة بالعقل ومشاهدة بالروح فُرض علينا فكان عبادة وطاعة، وردٌّ للأنفس والأبدان عافيتها فكان شفاء لها ودواء وحلى نفوسنا عن الرذائل فكان زكاة لنا ونماء، قال صلى الله عليه وآله وسلم فيما رواه الخمسة إلا أبا داود {إن في الجنة بابا يُقال له الريان لا يدخله إلا الصائمون فإذا دخلوا أُغلق فلا يدخل منه أحد}.
منعك الله سبحانه في هذا الشهر الكريم عما أباح لك من أكل وشرب ونكاح ليجملك بسمت الملائكة المقربين وسن لك فيه قيام الليل ليرفعك إلى عليين مجاهدي أنفسهم أهل الرضا والرضوان، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه النسائي: {إذا دخل رمضان فُتحت أبواب الجنة وغُلّقت أبواب النار وسُلسلت الشياطين وينادي منادي كل ليلة يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر}.

<u>جعلك الله ممن عرف فاعترف فاغترف.</u>

الطريق إلى عرفات

هو طريق ليس من مسافة مما نعد تطول أو تقصر فتطوى أو أرضا تزيد أو تنقص فتقطع وإنما هو طريق خفيَ عن البصر فلا يُرى وظهر للبصائر فلا يخفى ولا يسير فيه إلا أولئك الذين طهر الله قلوبهم من الأدناس ولا يخبر معارجه وسهوله إلا من نقا سبحانه أفئدتهم من الأرجاس.

وليت وسيلة السير فيه كانت ناقة أو باخرة أو طائرة إذا لسهل على كل قاصد وراكب وإنما هي وسيلة غريبة عجيبة إذا انطلقت من عقالها كانت أسرع من لمح البصر تنقل الإنسان من باب داره إلى عرفات من قبل أن يرتد إليه طرفه، هي كالبراق الذي ركبه صلى الله عليه وآله وسلم قاصدا مولاه في اسرائه ومعراجه، ولكل محب مشتاق براقه.

أول هذه الطريق التوبة مما مضى والندم على ما فات، ثم النية خالصة لله مجردة من الشوائب فيخرج من المعصية إلى الطاعة ومن المخالفة إلى التسليم، ثم يتجرد من المخيط والمحيط والجماع والصيد والطيب ويرفع صوته قائلا بصدق توجه: (لبيك اللهم لبيك).

وسُن للسير في هذا الطريق الغُسل ليتطهر من عاداته وعوائده وينقطع لربه تعالى وعندها يسمع نبي الله إبراهيم عليه السلام يناديه باسمه ممتثلا لأمر الله تعالى ليأتيه فيمن يأتونه رجالا وعلى كل ضامر {**وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ** - الحج 27}.

ولعلك **تتساءل** فتقول: كيف يأتونه؟ .

وأجيبك: إنه لم يدعهم لشخصه وإنما دعاهم إلى مقامه، ومقامه هو الخلة خلة الله فسيدنا إبراهيم خليل الله، ولذا قال الله تعالى في كتابه الكريم: {**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً** -آل عمران 96،97}.

وهذا سر التلبية التي هي في حقيقتها إجابة نداء، فمن لم يسمع لم يلبِ، ومن يلبي؟ ومن لم يشهد منافع له فعلام حجه؟.

الطريق إلى عرفات يحتاج طهارة ظاهرة وباطنة لأنه طهارة من اتخاذ الأنداد من دون الله تعالى.

ووجب التجرد من المخيط والمحيط كأنه ميت أدرج في كفنه، أرأيت ميتا يشتغل بالدنيا أو يلتفت إليها؟

ويفارق الأهل والمال والولد فيخرجهم من القلب منذ احرامه بعد أن يترك لهم الزاد اللازم والنفقة من حلال، وإن أراد الصحبة فالصالحون العارفون هم خير من يصحبه في قصده هذا، وأخاف عليك يا من لا تلبي النداء من غير عذر شرعي أن تهلك نفسك وتأمل في قوله تعالى: {**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّـنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** - آل عمران 96،97} لتعلم أن من قدر على الحج ولم يفعل قد قطع ما بينه وبين الله تعالى.

استغنم القدوم على مولاك لأنك اليوم قادر ولا تدري ما في غد واستهن بالمال والمتاع في سبيله فإنه مخلوف، فقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: {النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله سبعمائة ضعف - رواه أحمد} وقال في حديث آخر {حجوا تستغنموا وسافروا تصحوا- رواه عبد الرزاق} ومن كمل إيمانه اشتاق إلى الحج ومن لم يستطع الحج كان شوقه دليلا على محبة الله تعالى له ومحبته له، أما إن أكرمك الكريم سبحانه وحظيت بهذه المنزلة العظمى وقدمت إلى بيت الله الحرام في وفد الله الحرام فبشراك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: {من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه - رواه البخاري وأحمد والنسائي وابن ماجه}.

وإنما يُقصد البيت لصاحبه وإلا فهو حجارة وطوب لا تضر ولا تنفع فأنت في بيت الله ضيفه وكرامة الضيف على قدر المضيف الذي هو في بيته وحرمته.

وإذا ما بلغت مكة وما أدراك ما مكة أنوار تسطع وقلوب تخشع وعيون تدمع وقلوب إلى الله ترجع وأعمال البر من صلاة وحسنات تتضاعف بمائة ألف، فهنيئا لك والله هنيئا رؤية الكعبة المشرفة.

وستنضم في تلك الآلاف المؤلفة من حجاج بيت الله الحرام محرما ملبيا طائفا مُقبلا للحجر الأسود الأسعد مبايعا لله تعالى وقد عظمت – والله – عليك المنة فإنك تصافح ربك سبحانه قال صلى الله عليه وآله وسلم: {الحجر يمين الله في الأرض يصافح بها عباده - رواه الخطيب وابن عساكر} وسترى يوم القيامة لهذا الحجر الأسود عينين يريان من استقبله بوجهه ولسانا يشهد لمن قبله فيستقبله الله تعالى بوجهه الكريم.

ودونك تنعم بنعيم الدنيا والآخرة وتنقل في منازل الرضا والرضوان ما بين الملتزم الذي يصف مزيته الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم، فيقول: {بين الركن والمقام ملتزم ما يدعو به صاحب عاهة إلا برئ - رواه الطبراني} وأركان الكعبة الأربعة، ومقام إبراهيم، وحجر إسماعيل وصلاة النافلة فيه هي صلاة في جوف الكعبة لأنه كان داخلها،

وماء زمزم الذي قال صلى الله عليه وآله وسلم في حقه: {ماء زمزم لما شُرب له فإن شربته تستشفي به شفاك الله وإن شربته مستعيذا أعاذك الله وإن شربته لتقطع ظمأك قطعه الله وإن شربته لشبعك أشبعك الله وهي هزمة جبريل وسقيا إسماعيل - رواه الدارقطني والحاكم}.
والصفا والمروة لتكون من أهل الصفاء والمروءة فتنال الصفاء وعساك تستحضر وأنت على جبل الصفا تجلي ربك سبحانه لنبيه موسى عليه السلام على جبل الطور فخر صعقا، وعرفه لمن عرفه يُغفر فيها لكل من يقف بها، ومزدلفة محل القرب والتودد، والمشعر الحرام وفيه ذكر وقرب ووجد وحب، ومنى وفيها تنال بإذن الله المنى.
يالها من مناسك مكية كريمة وأسماء زكية عظيمة ما استمع إليها مؤمن إلا ذرفت منه العيون وهاجت في صدره الأشواق والشجون شوقا إلى فوائح عبيرها وشذي عطر أريجها.
ثم اقصد المدينة المنورة.
التي وصفها صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: {المدينة قبة الإسلام ودار الإيمان وأرض الهجرة ومبتدأ الحلال والحرام - رواه الطبراني} وتوجه بقلبك وقالبك إلى باب العناية وشمس الهداية النعمة العظمى والغاية الأسمى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاهنأ بزيارته ومتع العين بمرآه والوجه بالنظر إليه والعقل بتذكر سني شمائله وجميل أوصافه، قال صلى الله عليه وآله وسلم: {من جاءني زائرا لا يهمه إلا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا - رواه الطبراني} ولن تفق من هذا العطاء الجم إلا في حضرة الصديق فأدِّ له التحية واعرف منزلة الصديقية وما لها من عظيم المزية، ثم إلى الفاروق الأعظم فسلم عليه وحيه تفز وتغنم، إلى مكان نزول الوحي مهبط الأمين جبريل ومنزله على أرض بني البشر، وبجواره تلك الدار التي سكنتها خير نساء الدنيا البضعة الطاهرة النقية سيدتنا الزهراء فاطمة، ثم إلى البقيع حيث مرقدها، ومرقد ابنها سيدنا الحسن، وحفيدها سيدنا زين العابدين بن الحسين، ومرقد شقيقتها سيدتنا رقية، ومرقد أخيها سيدنا إبراهيم، وسيدنا العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والسيدة صفية عمته، والسيدة فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي كرم الله وجهه، وسيدنا عثمان بن عفان ذي النورين، ومرضع السعد والسعود السيدة حليمة السعدية، وأمهات المؤمنين عدا السيدة خديجة بنت خويلد، وكبار الصحابة إذ بالبقيع وحده عشرة آلاف صحابي كريم منهم رضي الله عنهم .
وزر جبل أحد وهو على باب من أبواب الجنة، وزر شهداء غزوة أحد وعلى رأسهم سيدنا حمزة، وصلِّ في مسجد القبلتين، ومسجد قباء الذي قال صلى الله عليه وآله وسلم في حقه: {من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قباء ويصلي فيه كان عدل عمرة - رواه النسائي وابن

ماجه}.
وعندما تعود إلى دارك تذكر بلدا أظلمت فيه العقول فانطوت في جاهلية جهلاء عبدت الأوثان وقدستها ووأدت البنات ودفنتها وجعلت لله الشريك والند وأحاطت بيته الكريم بالأصنام تسجد لها وتمجدها من دون الله تعالى، فبعث الله فيهم رسولا من أنفسهم كذبوه وبالسحر والجنون – حاشاه – رموه ومن داره أخرجوه وعذبوا أصحابه وحاربوه وأذوه، فما كان فظا ولا غليظ القلب وإنما صفح وغفر وأعطى وسامح وتسامح فتمم الله على يديه مكارم الأخلاق ودخل الناس في دين الله أفواجا، وعبَّد لك الطريق إلى عرفات ومهدها حتى صارت محجة بيضاء ليلها كنهارها فاجعل الصلاة والسلام عليه شغلك الشاغل في سائر الأوقات.

سرى للغاية

إذا ما رأيت جدتك تعد باستخدام الأحجار الصغرى وأصابع الكفين والقدمين لإجراء عملية حسابية بسيطة محدودة في عصر الكمبيوتر والأقمار الصناعية والانترنيت فلا تسخر منها متعاليا ظانا نفسك أكثر معرفة ودراية؛ لأنك في الحقيقة تمارس الشيء نفسه في زاويتك إذ ينوء ظهرك بحمل موروث ثقيل راكد جامد منذ العهد العثماني الأول لا تزال تمارسه بقداسة ساذجة ظانا انه التصوف والتصوف منه براء .

==========

كنت مرة منذ قرابة العشرين عاما عند شيخنا الشيخ مختار السباعي رحمه الله في أواخر أيامه وقد قضى في الطريقة مرشدا ناصحا قرابة الأربعين عاما في زاويته في مدينة مصراته نتجاذب أطراف الحديث، فقال لي:

لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما قبلت زاوية واحدة من التي انتسبت إلينا.

فقلت له : لماذا؟

فقال : لم يجد معهم النصح نفعا وما صلح حالهم وما ازدادوا على الأيام إلا بعدا وصمما عن كل نصح وإرشاد ا. هـ .

وما أشبه اليوم بالبارحة.

لقناة الجزيرة دور إعلامي مميز، وجميل في أعناق العرب جميعا فهي أول من كسر الأسلوب الإعلامي التقليدي الذي سيطر على وسائل الإعلام العربية المرئية والمسموعة والمقروءة زهاء نصف قرن والمتمثل في مجموعة من الطبالين والزمارين والمهرجين الذين يصفقون للحاكم العربي التقليدي ويطبلون لمشاريعه العملاقة وانجازاته الخطيرة.

ولا بأس برفعه أحيانا إلى مصاف آلهة الفراعنة القدماء والنتيجة فضيحة تاريخية إنسانية مخجلة تجلل بالبلاهة والخيبة الإعلام العربي من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر.

ولكن هذا لا يعني أن هذه القناة المميزة ليست فوق مستوى النقد، فهي يحركها الإنسان الذي بخلقة الله له خطاء، إذ ما بثته في برنامجها (سرى للغاية) مساء الخميس الموافق 2004/4/1م عن التصوف لا يمكن أن يصنف ضمن الإعلام الهادف البناء.

وأتوقع- والله اعلم - أن الأخ يسرى فوده معد ومقدم البرنامج وقد وُجهت إليه أصابع الاتهام العنيفة من الجماعات المتطرفة التي تلحق القول بالفعل بعد حلقة من البرنامج المذكور كانت عن أحداث 11 سبتمبر في أمريكا نتج عنها اعتقال أحد المتهمين بتدبير هذه الأحداث

وهو (رمزي الشيبة) في باكستان من قبل المخابرات الأمريكية لم يجد وسيلة دفاع تثبت حياده وبراءته سوى التصوف الذي تناصبه هذه الجماعات العداء فقدمه لها كبش فداء على مائدة الجزيرة واسعة الانتشار لتفادي مواجهتها وإظهار عدم تحيزه.
وربما أكون مخطئا في تحليلي هذا فالله وحده المطلع على قلوب ونوايا خلقه بيد أن هذا الأسلوب الفج في تناول مادة التصوف في البرنامج وضحالة المعلومات المذكورة به والكمية الهائلة من المغالطات والإعلان السابق للحلقة المعنون باسم (**التصوف بعد الحادي عشر من سبتمبر**) ثم خلو الحلقة نفسها فيما بعد من أي إشارة إلى هذه الموضوع تسوق المحلل المنصف رغما عنه إلى هذا التحليل.
وربما باستثناء اعتراف الأخ يسري فوده نفسه الذي نطق به جبرا بحكم تتبعه وجمعه لمادة البرنامج وهو:
أن ثلاثة أرباع من اعتنق الإسلام في الفترة الأخيرة كان على أيدي الطرق الصوفية.ا.هـ.
فإننا لا نكاد نجد فقرة ايجابية واحدة في حق مدرسة التصوف العريقة التي تمثل مقام المراقبة وهو أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك؛ أي حقيقة ذلك السلوك الإيماني العظيم الذي تجلى في الأنبياء والرسل ومن سار على نهجهم الكريم ودربهم القويم مذ أوجدهم الله تعالى.
ولا أريد أن أناقش كل ما ذكره البرنامج كقول الأخ جمال بدوي من مصر أنه لا يوجد من تعرض للاضطهاد من قبل الأنظمة الجائرة سوى الحلاج والسهروردي.
وتساؤل الشاعر فاروق شوشة من مصر أيضا بقوله: حدثني عن صوفي واحد خلال عشرة قرون ماضية تعرض للاضطهاد من الحاكم مما يدل على أن التصوف صار خارج السياق.
وقول د.عصام العريان وهو من قيادات الأخوان المسلمين في مصر: إن التصوف سلبي لا دور له.
فهؤلاء لم يقرءوا التاريخ ولا تثريب عليهم، فهم ومعهم الأخ يسري فوده ممن تخصصوا في الثقافات السياسية والنشاطات الإعلامية المعاصرة، وإلا لوجدوا فيه شيخ الشهداء عمر المختار ورفاقه الفضيل بوعمر والبناني مكاييل ومحمد بو فارس وجمال الدين الميلادي في ليبيا، والأمير عبد القادر الجزائري شيخ الطريقة القادرية، والشيخ احمد العلوي شيخ الطريقة العلوية في الجزائر، والشيخ المقراني والشيخ الحداد في تونس، ودور الطريقة التيجانية الكبير الهام في غرب أفريقيا في مقاومة الاستعمار الفرنسي وجهاده بالسيف، وجهاد الطريقة السعدية في تونس وليبيا ضد الفرنسيين ونشر الإسلام في قارات الأرض

الست.
بل وأنصحهم بدراسة تاريخ بلدهم مصر ذاتها التي تكلموا منها ليجدوا على صفحاته تاريخ الصوفي العز بن عبد السلام الذي باع سلاطين مصر المماليك عندما اشتد جورهم على الرعية في أسواق النخاسة، وأبطال الجهاد ضد الحروب الصليبية وعلى رأسهم الشيخ أبو الحسن الشاذلي والصوفي ابن لقمان الذي أسر قائد الحملة الصليبية الملك قلب الأسد في داره في مدينة المنصورة.
بل ولهم أن يسألوا أي فلاح مصري يحفر الأرض بمسحاته العتيدة لينشد على أسماعهم ذلك النشيد العظيم الذي يتوارثه المصريون منذ قرون ممجدا دور الشيخ احمد البدوي في تكوينه كتائب فدائية من مريديه تهاجم معسكرات الصليبيين وتفتك الأسرى المسلمين منهم فيقول بكل بساطة: الله الله يا بدوي جاب الأسرى.
هؤلاء شواهد فقط ويحتاج المقام ذكر آلاف غيرهم من سادتنا المتصوفين ودورهم الرائد في المجتمع الإسلامي على كل الأصعدة احتاج لذكرهم آلاف الصفحات.
ولماذا نذهب بعيدا وهاهي كتائب حماس المجاهدة التي تسطر بدماء أسودها وأشبالها اليوم أروع صفحات الجهاد المعاصر لا تجد من يمثل حقيقة جهادها وذروته وأصالته إلا الشيخ عز الدين القسام شيخ الطريقة الشاذلية في سوريا فأطلقت اسمه الكريم على جناحها العسكري نصره الله وخذل بني صهيون.
استغربت أيضا وأنا أشاهد البرنامج هذه الألفاظ النابية والاتهامات الباطلة التي قذف بها الأخ يسري فوده صديقنا الفاضل الشيخ ناظم القبرصي، ولعله يحتاج أن يعرف أن عدد الذين اعتنقوا الإسلام على يدي الشيخ ناظم الكريمتين يتجاوز العشرة آلاف إنسان أنقذ الله تعالى رقابهم به مما أعده الله للكفرة والمشركين وأدخلهم بسببه حصن الإسلام الحصين اليوم وغدا إن شاء الله تعالى.
وتعجبت كثيرا من هذه اللقاءات التي عقدها الأخ يسري مع مشركين يقدحون في الإسلام ويعلنون براءتهم منه على أنهم متصوفين ومنهم شخص قال عنه انه شيخ الطريقة النعمة الهية وقد عرض صورته محتجبة بالسواد، ولو كان كلاهما على حق لأظهر صورته ودافع عن مقالته.
ثم إدراجه لقاص كث اللحية يرتدى أسمالا رثة بالية يروى قصة الحلاج في ساحة مراكش وهى ساحة سياحية لا علاقة لها بالتصوف من قريب أو بعيد تعج بالحواة وبائعي الأدوية الشعبية والبهلوانات ورواة القصص والأساطير يقبل عليها السائحون من كل الجنسيات، ولا

أدرى كيف يحسب روادها على التصوف وأهله، بل كيف يُنتقى بعض متكسبيها ليكون المتحدث في الحلقة المذكورة عن دور الحلاج رضي الله عنه المجيد في التاريخ الإسلامي.
خلاصة الأمر لا أريد أن استمر في ذكر التناقض والتحامل الشديدين المشينين على التصوف وأهله في هذا البرنامج فهذا ليس الموضوع الذي أردت الكتابة فيه؛ وليس الأخ يسري فوده أول من يتطاول على التصوف ولن يكون أبدا الأخير.

بل أردت الكتابة في موضوع لم يعد (سرى للغاية) وإنما هو (مشين للغاية).
أقصد ما عليه المنتسبون للطرق الصوفية اليوم الذين يقدمون للطاعنين في التصوف مادة شهية دسمة على أطباق من ذهب وياقوت ثم ننتقد إنكارهم ونستغرب انتقادهم.
فنحن نمثل تراثا إسلاميا عظيما ونجسد أمانة حضارية كبيرة ونحمل على عواتقنا مهمة إنسانية ضخمة تتمثل في نشر قيم الدين الإسلامي الحنيف المتمثلة في العلم والمعرفة والتسامح وحب الإنسان لأخيه الإنسان وسوق النفع للآخرين وإثراء مجتمعاتنا ثقافيا وخلقيا ومد يد العون للمحتاج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
وإنني أختصر كل ما أريد قوله من قيم التصوف في ما قاله شيخنا سيدي محمد بن عيسى رضي الله عنه شيخ الطريقة العيساوية منذ قرابة الخمسة قرون، حيث قال لا فض فوه: طريقتنا إتباع العلم بالعمل والاستغفار مما قبله.ا.هـ.
أي أن نتعلم في كل يوم جديدا ونعمل به ونستغفر الله من عدم علمنا وعملنا به قبل ذلك، وبذلك يكون المريد في رقي مستمر، وهو ما يجب أن نكون عليه لا غير.
بيد أنني اسأل وفي القلب حسرة وفي الصدر حرقة وفي العين دمعة، هل هذا هو فعلا ما يحدث؟.
كلا والله !!! فكلنا يعرف أن ما عليه حال جل الزوايا اليوم لا يمت للتصوف بصلة من قريب أو بعيد، بل هو تخلف يدعو للخجل وتأخر يندى له الجبين.
هل اختصرت كل أوامر شرعنا ونواهيه في حزب نقرأه ليلتي الاثنين والجمعة منذ عدة قرون ثم ننصرف إلى حال سبيلنا؟
إن هذه الأحزاب التي نتلوها اليوم قد وضعها سادتنا المشايخ للمريدين عندما كانت البلاد مستعمرة أو رازحة تحت نير التبعية والتخلف فاقدة للخدمات الضرورية معدومة التعليم والمدارس والكتب فصاغوا رضوان الله عليهم العقائد الإسلامية الشريفة وجملة من قواعد الدين والأدعية والابتهالات في أحزاب يكررها المريدون ويحفظونها تحفظ لهم الحد الأدنى

من الهويـة الإسـلامية والعقائـد الواجبـة تجـاه محـاولات التنصـير والحـروب الداخليـة والفتن والأمراض والاستعمارات المتتالية.

أنظر إلى حزب سبحان الدايم لشيخنا الجزولي كمثال يساعد على إيضاح ما نشير إليه:
{سبحان الدايم لا يزول، سبحان الباقي لا يفنى، سبحان الله مولانا، إلهنا جلا وعلا، إلهنا نعم المولى، إلهنا نعم النصير، إلهنا نعم القدير، إلهنا نعم الوكيل، إلهنا دايم ربي الله الله دايم ربي، حاضر ناظر دايم ربي، جل الواحد القهار عن الشبه والنظير، جل الموصوف بالكمال عن الشبه والمثال، جل العزيز المحيط عن إدراك العقول، جل الموصوف بالقدم عن صفات المحدثات، جل الموجود القديم عن الضد والند، كان الله وحده ولا شئ معه ...الخ }.

وإنني أقسم بالله العظيم ثلاثا قسم لا تحلة له ولا رجوع عنه يحاسبني الله عليه يوم القيامة أن تعلم سورة بل آية من كتاب الله الكريم اليوم أو تفسيرها أو العمل بها أمرا ونهيا هو أفضل مليارات المرات من قراءة كل أحزاب سادتنا مشايخ الطرق الصوفية رضوان الله عليهم.
أقول هذا وأنا لا أنكر بركة هذه الأحزاب وأسرارها وخواصها ولكن بركة كتاب الله الكريم وحديث رسوله العظيم صلى الله عليه وآله وسلم نتدارسهما وننتهي عما نهيا ونعمل بما نقدر عليه منهما أكبر وأفضل.
وقد آن الأوان لنعلم ذلك ونسير بزوايانا إلى ما هدفه بها سادتنا المشايخ رضوان الله عليهم فنتحلق حول كتاب الله الكريم وحديث نبيه لعظيم صلى الله عليه وآله وسلم نتعلم وندرس ونتأدب فإمامنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان خلقه القرآن.
هل جاء في شرع الله تعالى أن نطبل على الدفوف والطبول وندق الصنوج إلى الصباح ثم نكون أجهل بشرع الله تعالى من أبي جهل ؟!!
فلقد رأيت من شاب شعره وأبيض شاربه ولا يحسن إلا الدف والمالوف والقصائد ولا علاقة له بعلم ولا عمل، وكأن الدف والمالوف سيدخلانه الجنة.
ولقد رأيت من لا يصلي ويقرأ الحزب ويدخل الحضرة.
وعاصرت فضائح ومخاز محرمة ارتكبها بعض من يدعون الانتساب إلى الطرق الصوفية منها ما كان في داخل الزاوية ومنها ما كان خارجها.
ورأيت من يسلب الناس أموالهم باسم بركة الشيخ.
ومن يدعي التربية والإرشاد والمسكين لا يحسن ترقيع صلاته ولا يفرق بين الحديث

الموضوع والمقطوع والمرفوع.
ورأيت الكثير والكثير، وكل هذا باطل ليس من دين الله في شيء، وهو ليس (سري للغاية) بل وبكل أسف هو واضح وجلي للغاية.
بل أتسائل،، كيف يرضى رجل ذو مروءة لنفسه أن يأكل حتى التخمة ثم يقوم مختارا ليرقص على نغمات الدف والمزمار والزكرة، هل فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو صحابته الكرام؟!!!
أنا لا أتكلم عن تلك الصفوة من سادتي الذين عمروا بواطنهم وظواهرهم بالله تعالى ممن تنتابهم الأحوال الشريفة فتجبرهم على الرقص أو اهتزاز البدن أو حتى الطيران في الهواء والتكلم بما نعجز عن فهمه، فهؤلاء فوق رؤوسنا ولا نطلب منهم سوى حسن الدعاء، وإنما كلامي مع الذين يدعون هذه الأحوال الشريفة بلا حقيقة تسندهم من علم أو عمل فترى أحدهم يتخبط والعرق يسيل من جسمه بغزارة ويصيح بألفاظ وعبارات ثم يجلس بعد ذلك ليشعل سيجارة ويتحدث عن فلان وفلانة ويخلط كلامه وفعله الغث بالسمين والباطل بالحق.
هل في شرع الله هذه المكائد والحيل ونصب شباك وحبائل الفتن التي تنتشر في الزوايا اليوم لتنحية شيخ أو نقيب الزاوية هذا وتنصيب الآخر مكانه لأشهر ثم تدبير الدسائس والمكائد من جديد لاستبداله بغيره؟!!
إن حجم الذي أعرفه في هذا الموضوع عن محترفي تدبير هذه المؤامرات وهم للأسف في جل الزوايا يجعل إدارة المخابرات المركزية الأمريكية تتوسل لهم راجية ليقبلوا أن ترسل موظفيها ليتدربوا في تلك الزوايا على تدبير الانقلابات.
لقد انهار التصوف على أيديهم مع سبق الإصرار والترصد إلى أن صار منتسبو الزوايا مجموعة من البلهاء والدهماء يهرع إليهم المسؤولون في المناسبات المختلفة ليطبلوا لهم في الشوارع ويزمروا وحولهم الأطفال يهرجون ويتصايحون كما يفعلون بالمجانين في الأسواق، والشباب يشاهدون هذه المظاهر المخزية المذلة ومنهم يسخرون !!
وما أن ينفض السامر وينقضي الحفل ويُهنأ المسؤول الذي نظمه على إنجازه العظيم الذي حققه بإحضارهم حتى يكون هو أول من يستدبرهم وينظر إليهم بتعال واحتقار، ثم يلومون الآخرين على انتقادهم للتصوف وكأنهم ليس من ألبسه هذا الثوب الدنس النجس.
إن هذه الصورة هي التي عليها جل زوايانا الصوفية اليوم وهي لا تمثل أبدا التصوف الذي حقيقته أنه اصطلاح وقتي يلاءم الزمان والمكان والإخوان، وعلينا أن نعيد النظر في هذه الموروثات، فما لم نصحح أخطاءنا بأنفسنا ونصلح شأننا بأيدينا فإننا سنظل هدفا بائسا أبلها

فاقد الحول والقوة أمام سهام المنكرين والمغرضين من متطرفين وإعلاميين وسنتقهقر يوما عن يوم لنتحول في خاتمة المطاف إلى فرق فنون شعبية فلكلورية تهرج وتزمر وتطبل في الشوارع والأزقة والناس يضحكون حوالينا ومنا وعلينا كما كانوا يفعلون بمفطر شهر رمضان في عهد مضى أدركناه، إذ كان يركبونه على حمار ووجهه لذيل الحمار وظهره لرأسه ويضعون على ملابسه أمعاء شاة وكرشها ويسيرون به في شوارع المدينة وأزقتها.

أقول هذا وأنا في أشد الأسف، ولعل ما حدث في مدينة درنه الشهر الماضي عندما رشق شبابٌ وأطفالٌ بعضَ الزوايا وهم يسيرون بدفوفهم وطبولهم في الشارع بالحجارة بشكل مخز مهين نتج عنه كسر يد أحد المريدين وشج رأس مريد آخر إضافة إلى إصابات متعددة لمشاركين آخرين ينبهنا إلى أن موضوعنا لم يعد (سري للغاية).

عتاب القمر

أيها القمر المطل علينا من عليائك كقنديل يضئ سماءنا، اعلم أننا إن استدبرناك مستعيضين بشمعة خافتة عن نورك الوهاج فالعيب فينا لا فيك، أما الشمعة فعما قريب تفنى ثمالتها أو تطفئها نسائم الأصيل، وعندها إما أن نرجع إلى رحابك الساطعة معتذرين أو نرضى بالظلام الدامس.

هذه طبيعة الإنسان لا تستقر على حال، فهو سريع النسيان متقلب المزاج متعدد الأحوال، فطورا تراه يفيض خيرا ويشرق أملا ويشع عطاء؛ فإذا ما تُرك على حاله ربما قسا طبعه وتبلد وأظلم قلبه وأعتمت بصيرته.

وما سُمي الإنسان إلا لنسيه *** ولا القلب إلا أنه يتقلب

ومن هنا كان التذكير واجبا ليذهب الظلام عن صدره تاركا مكانه للنور وتحل الرأفة والمشاعر الطيبة في حنايا فؤاده محل الغلظة والغشاوة.

والتذكير هو مقام المراقبة المشار إليه في الحديث الشريف بقوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه مسلم: {أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك}.

والتصوف في حقيقته هو مقام المراقبة لا غير، كذلك فإن احتفالنا بمناسباتنا السامية الكريمة هو الفطرة ـ والإسلام دين الفطرة ـ ، وهو ديدن الرسل الكرام والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ- إبراهيم 7،6}.

وأيام الله هي تلك المناسبات التي أظهر الله تعالى فيها للبشر بشارة أو نذارة ترتفع بهم صوب آفاق ربانية سامية ورحاب إلهية عالية.

وتراثنا الإسلامي غني بالمناسبات التي يجدر بنا أن نحييها ونستلهم معانيها ونتأمل مضامينها ونداوم ذكرها وتذكرها، والاحتفال بها هو خير وسيلة لذلك، بيد أنه لطالما أحزنني وكثر ما آلمني أسلوب احتفال الزوايا والطرق الصوفية عندنا بهذه المناسبات الكريمة الذي لا يمت لمعانيها السامية بصلة، إذ هو عادة اجتماع في ليلة الجمعة ليأكل الحاضرون الطعام، ثم تضرب الدفوف وتقرع الطبول وتدق الصنوج وتتراقص الأبدان في حضرة تستمر إلى مشارف الفجر، ثم ينفض الجمع عن لا شيء، وهذا في الحقيقة ليس سوى منظر فولكلوري متوارث لا نستفيد منه إلا ملء البطون وصداع الرؤوس، ولا يمكن بحال أن تكون له علاقة بذكرياتنا العظيمة التي يجب أن نرتقي باحتفالاتنا بها إلى المستوى

اللائق بأمة أصيلة متحضرة واعية تترفع عن كل نقيصة وتتحلى بكل نفيسة.
لهذا فمن الطبيعي جدا أن أتوجه بالتقدير والاحترام إلى كل أعضاء اللجان الذين حققوا الحفل السنوي الكبير للطريقة العيساوية لهذا العام لهذا الإنجاز التاريخي الضخم.
إذ خصص للحفل أسبوعا كاملا أعد برنامجه بعناية قصوى ليشمل المحاضرات العلمية الأكاديمية الراقية يلقيها العلماء والباحثون والمثقفون، والأمسية الشعرية يتبارى فيها أهل القريض وفرسان الأدب ومعارض الفنون التشكيلية التي ترتقي بمواهب المريدين وتصقلها وتدفع بها إلى الأمام وحلت ذلك كله بحلقات الذكر وتلاوة المولد النبوي الشريف وقصائد المديح تطرب القلوب وتطهر الأبدان.
وقد دأبت هذه الكوكبة المذكورة المشكورة على تطوير برنامجها الاحتفالي بالإضافة والحذف كل عام مستفيدة من تراكم خبراتها فأضافت مسابقات القرآن الكريم بين مختلف زوايا الطريقة في ربوع الجماهيرية ومعرض المقتنيات التاريخية ومعرض الكتاب لزيادة المساحة الثقافية لأبناء الطريقة بحكم أن كل كتاب سراج ينير أرجاء الحياة ومعرض الصور الوثائقية ذات الدلالات الإنسانية والوطنية والتاريخية والاجتماعية، وفى إنتاج رائد متميز هو الأول من نوعه لطريقة صوفية شاركت دائرة البردة بالطريقة العيساوية في الحفل بأوبريت موسيقى غنائي ألفه وأخرجه مريدو الطريقة ونال إعجاب الحاضرين المنقطع النظير وتهليلهم.
أنا لا أرغب أن أخصص هذا البحث لتغطية الحفل وإنما أحب أن أدعو جميع سادتي منتسبي الزوايا والطرق الصوفية في بلادنا إلى إعادة النظر في مادتنا الاحتفالية التي يجب على الفور أن نرتقي بها وأن نحرص على أن يشكل كل حفل نقيمه منها إضافة حقيقية فعلية بما يحويه من محاضرات ونشاطات ثقافية وخيرية تعود بالفائدة على المريدين وعلى المجتمع كافة فإن انهيار احتفالاتنا الصوفية وخواءها إلى هذا المستوى الضحل المتمثل في عشاء دسم وحضرة دفوف هو شيء مخجل يندى له جبين المتصوف الملتزم بأوامر دينه ونواهيه الذي لن يجد قط في القرآن الكريم أو الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جمع أصحابه الكرام في إحدى الذكريات الكريمة ليأخذ كل واحد منهم دفا يخبط على جلده اليابس إلى بزوغ الفجر فليس هذا أبدا هدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تربية الرجال الذين ارتفع بهم عن عبادة الأصنام ووأد البنات وعيشة الجاهلية العمياء ليصنع أكبر وأعظم حضارة عرفها التاريخ.
الأمر جاد والخيار بين نقيضين هما قمر منتصف الشهر وثمالة شمعة باهتة هافتة، إما

الارتفاع إلى سدرة الاحتفالات المفيدة النافعة المشرفة ذات الأثر الايجابي الفعال صوفيا واجتماعيا وحضاريا أو البقاء على ما نحن فيه.

التصوف ومؤسسات المجتمع

يعتبر التصوف بما يمثله من مُثل ويحمله من قيم وشيم أحد أهم وسائل البناء في المجتمعات الإسلامية قديما وحديثا، وسنؤجل الحديث عن دوره الهام هذا عبر مسيرة الأمة في أوقات مضت وأزمنة انقضت ونقتصر في هذه المقالة على دوره المعاصر إذ هو المشاهد بعيون يومنا وأبصار حواسنا.

فالدول تنفق أموالا طائلة على دور القضاء والمحاكم ومراكز الشرطة والأمن، ولا يخلو مع هذا مجتمع قط من خارجين عن القانون رغم القوانين والروادع والعقوبات يسرقون ويقتلون وينهبون وينشرون الرذيلة والمخدرات بينما يقوم التصوف عبر رجاله وزواياه بنشر الثقافة الإسلامية بما فيها من حض على الخير والتزام به ونهي عن الشر وتربية النشء والراشدين وترغيبهم في الطاعات وحضهم على التحلي بمكارم الأخلاق وكفهم عن المعاصي بالأسوة الحسنة والإقناع وأساليب التربية.

ولن تجد صوفيا تربى على أيدي المتصوفين ونشأ في رحاب حلقات الذكر ومجالس العلم منحرفا أو ضامرا لشر أو رذيلة والأمر نفسه مع المؤسسات الإعلامية المرئية والمسموعة والمقروءة بفروعها إذ يوكل بها نشر الثقافة الصالحة وبث القيم الطيبة وتنفق الدول على ذلك كما كثيرا من ميزانيتها، وما يقوم به التصوف الذي يعتبر ثمرة أرقى التجارب الإنسانية ألا وهي ثقافة الإسلام فتراه يؤدي دوره الإرشادي التربوي مباشرة مما يعود بنتائج أجدى وأنفع.

وخذ أيضا مقدار الأموال الهائل الذي ينفق على المستشفيات والأطباء والأدوية والمعامل والاهتمام الذي توليه الدول لمرافقها الصحية والطبية.

وإذا علمت أن أمراضا بدنية ونفسية عدة تنشأ عن الانحراف والخروج عن شرع الله مثل الايدز وتعاطي المخدرات وشرب الخمور ومهالك التدخين المسبب للسرطانات وأمراض في الجهاز العصبي والتنفسي وعلمت أن التصوف يقف حجر عثرة أمام انتشار هذه الموبقات ويناصبها العداء ويدعو لتجنبها والابتعاد عنها أدركت دوره في هذا المجال، ناهيك ببعد من انتسب للتصوف من الأمراض النفسية والعصبية بما يتوفر عند منتسبيه من طمأنينة وراحة وسلام وأمن ورضا بما قدر الله.

وقد حضرت ندوة في مصر في عام 1996م في القاهرة ألقى فيها د. جمال أبوالعزايم نقيب أطباء الأمراض النفسية والعصبية بمصر - وهو رجل صوفي بالمناسبة - فأشاد بدور

التصوف في حفظ الصحة النفسية، ثم ختم بقوله: بأنه طوال مسيرته في تخصصه هذا وسني عمله الطويلة التي تقارب نصف قرن من الزمان لم يأته صوفي واحد مصاب بمرض نفسي أو عصبي.
ويتكامل التصوف أيضا مع مؤسسات التربية والتعليم ويعرف المعلمون في مدارسنا الفرق بسهولة منذ الصفوف الابتدائية الأولى بين من نشأ في رحاب الزوايا على ألواح القرآن الكريم وحفظ سوره وحسن وقوة ملكة الحفظ والتعلم وأخلاق طلب العلم وكريم السلوك والآداب وبين غيره.

والخلاصة إنه ما من مؤسسة في المجتمع لو تتبعتها جميعا إلا ويتكامل معها التصوف إيجابا، وأنه يقوم بدور هام وفعال مواز لها من دون أن تتكلف خزائن المجتمع أموالا أو ميزانيات، بل يؤدي دوره هذا في يسر وهدوء ونجاح.

ونحن لا نكره أن تشيد هذه المؤسسات بدوره الفعال هذا وتقدر صنيعه الممتد عبر قرون طويلة سبقت انشاءها ووجودها فأسس لها ومهد، مما جعلها تقف على تاريخ صلب وأصالة قويمة.

وأتوا البيوت من أبوابها

أداء للأمانة وقياماً بواجبي وترحيباً وانسجاما مع نوايا وخطوات التطوير والتحديث الحثيث التي تلوح في الأفق فإنني أتقدم بخلاصة رأيي للنهوض الأمثل بالطرق الصوفية في ليبيا مشدداً على أنه رأي إنسان قاصر قابل للقبول والرفض والتصويب والتخطئة والزيادة و الحذف.

كما أعتذر سلفاً إن استاء منه أي فاضل وأطلب منه المغفرة فإنني أعتقد أن الأمر أكبر بكثير من المجاملات و غض الطرف التي عانينا منها كثيراً و لا نزال.

تعتبر الطرق الصوفية واحدة من أهم وأعرق مؤسسات المجتمع المدني وأنسب دعائمه فاعلية وحضوراً، ولطالما كانت إبان أوقات ازدهارها وريادتها عبر تاريخها الطويل عرين المجاهدين وحضن المثقفين ومدرسة المتعلمين ونُزُل الحجاج والمسافرين وأمان الخائفين ومأوى المنقطعين ومحكمة المتخاصمين وإليها أنتسب نجباء بلادنا من مجاهدين وأدباء وفنانين وعلماء.

بيد أنها لأسباب تراكمية رسمية وشخصية عديدة ليست في أحسن حالاتها اليوم، وعانت في تاريخها المعاصر ولا تزال من العشوائية والارتجالية في التعامل فيما بينها ومعها، وتوظيفها من قبل البعض بما يحقق مصالح نفعية شخصية وغياب التخطيط السليم والدراسة المسبقة والإحصاءات والبيانات الصحيحة والخطط والبرامج المدروسة المفيدة القادرة على تفعيل دورها إيجاباً في المجتمع واستفادتها بالتالي من الإيجابيات المتوفرة به واستفادة المجتمع منها، مما ساعد على أن يبرز على السطح في بعض الأحيان منظر سمج يحمل اسم تصوف يرفضه المتصوفون ويخجلون منه ممثلاً في ممارسات مرفوضة لم ترد في القرآن الكريم وصحيح سنة سيد المرسلين ولا يعقل إنسان أنها تعني التصوف من قريب أو بعيد فشوهت صورته زيادة وأشعرتنا كمنتسبين إلي مدرسة التصوف العريقة بالحرج الشديد.

إن عدد الطرق الصوفية الحقيقي في ليبيا الآن هو 13 طريقة صوفية يتوزع 73% من منتسبيها على الثلاثة الأكثر انتشاراً منها، و10% على الأربعة طرق التي تليها في الكثرة والانتشار، و17% على الطرق الست المتبقية، أما عدد الزوايا الآن فهو 659 زاوية منتشرة على عموم ربوع الجماهيرية وهو رقم إداري فقط إذ إن قرابة نصفها خالٍ في الحقيقة من المريدين تماماً رغم وجود ملفات لها بها أسماء وبيانات أو شبه خال إذ يتردد

عليها أفراد معدودون، كما أنه عدد محدود جداً مقارنة بدول عربية مجاورة منها مصر التي بها 78 طريقة حسب إحصاء 1991م تزايد ليقارب الـ 90 طريقة صوفية الآن، مما يعني يسر وإمكانية تحقيق أكبر نهوض ممكن بها عندنا لو توفرت النية الطيبة والآلية الصحيحة المناسبة لذلك وفي رأيي إن أنسب أسلوب لذلك وأفضله هو أن نأتي البيوت من أبوابها ونعتمد الأسلوب الوحيد الذي طالما كفل للطرق الصوفية طوال تاريخها الازدهار والرقي والنفع لها وبها وذلك بأن تكون تبعية هذه الطرق لمشايخها بحيث يكون لكل طريقة شيخ يتولى إدارتها والإشراف عليها والرقي بواجباتها ووظائفها وينظم أمورها في ما بينها من ناحية وفيما بينها وبين الجهات الرسمية من ناحية أخرى وتلزم الزوايا المنسوبة إليه بالتعامل معه و عبره.

ويُلزم الشيخ الذي ينبغي أن تتوفر فيه شروط معينة على رأسها العلم الواسع بأمور الدين وأحكام الشريعة وحسن السمعة والمقدرة الإدارية والتوثيقية إضافة لواجبه الصوفي والتزامه حيال طريقته بخطة عمل وبرنامج إنساني وثقافي واجتماعي وعلمي متكامل بحيث تنتقل الزوايا عندنا إلي المساهمة الخيرية الفعالة في المجتمع وتأسيس دور الخدمات التطوعية والطبية والعيادات والمكتبات العامة والمؤسسات الثقافية وفصول تقوية الطلاب أسوة بما تحققه الطرق الصوفية في البلدان الأخرى ولسنا أقل منها في شيء، على أن يُعقد اجتماع سنوي عالي المستوى رسميا ليُعرف فيه ما تم إنجازه لتشجيعه وما تعذر لإزالة العراقيل التي تحول دونه، وما قُصر أو تقاعس فيه لتحميل المسؤولية.

كما يوفر شيخُ كل طريقة صوفية إدارة تتولى توفير الإحصائيات والبيانات المتكاملة عن الطريقة وتتحمل مسؤولية إصدار بطاقات تعريفية للمريدين بها البيانات الضرورية، وإعطاء الإجازات الصوفية لمستحقيها والنظر في الإجازات الصوفية الموجودة الآن بين أيدي من يتولون مشيخة الزوايا فبعضها صحيح لا غبار عليه وبعضها قد صدر عن إدارات الزوايا المتعاقبة بالأوقاف وهي جهة إدارية إشرافية فقط لا يجوز لها ذلك قانوناً أو شرعاً أو عرفاً، و بعضها صادر عن من ليس بأهل لذلك حتى أنها صارت على أيدي بعضهم داخل وخارج الجماهيرية كنظام البورصة لها أسعار محددة بيعاً وشراء بالعملة الوطنية أو الأجنبية، وكل هذا أضر بالطرق الصوفية بتولية هذه المسؤولية الخطيرة من ليس لها بأهل إذ أعطى من لا يملك من لا يستحق وخالف أسلوب مشايخها الحقيقيين في بلادنا الذين كانوا ولا يزالون يضعون ضوابط وشروط أساسية وأصنافاً من التربية الصوفية والصقل العلمي والاجتماعي والأخلاقي لمنح هذه الإجازات وعلى سبيل المثال لا

الحصر فإن الشيخ محمد الدوفاني المتوفى في زليتن سنة 1969م رحمه الله كان شيخاً للطريقة العروسية لمدة تقارب 30 عاماً ومع هذا لم يمنح إلا سبع إجازات فقط في طريقته مما ينبئ عن عظيم ما يشعر به مشايخ الطرق الجديرين حقيقة بهذه الصفة من مسؤولية حيال هذا الأمر.

وبقدر ما يبدو ذلك سهلاً ممكناً لبعض الطرق كالعلوية والجعفرية والبرهانية والعيسية والخلوتية التي تتفق على شيخ واحد وهم بحمد الله كلهم مشايخ محترمون مكرمون يتحملون المسئولية و يُشرِّفوننا على الساحة الصوفية، فإن هناك ثلاث طرق قد تتفق على شيخين اثنين وبالإمكان اعتماد الاثنين معاً إذ كلاهما فاضل محترم في أعلى مستوى المسئولية، بينما بعض الطرق الأخرى بها إضافة إلي مشايخها الأفاضل الجديرين بالثقة والاحترام وفرة ضارة ممن تستهويهم ألقاب المشيخة، وفي هذه الحالة قد نلجأ لحل أوجدته الطرق الصوفية في مصر عندما واجهت هذه الإشكالية وهو تغيير بعض اسماء الطرق الصوفية أو إضافة مائز، ثم إدراجهم جميعاً ضمن مشايخ الطرق الصوفية ومع اتساع رقعة العلم في البلاد وانتشار سبل المعرفة والثقافة ستستقر الأمور فقط على أولئك الذين ينظرون إلي هذه المسئوليات بعين الجدية والاهتمام ويستطيعون فعلاً النهوض بهذه الطرق ممن يعطون ولا يأخذون ويبنون ولا يهدمون ويزرعون ولا يقطعون، بما يحقق الغايات الجمة المرجوة منها و منهم.

وأنا لا أدعي أنني مبتكر هذا الاقتراح أو مكتشفه بل إنني في الحقيقة أنقله عن جل الدول العربية والإسلامية التي مكنني الله تعالى من الإطلاع على نظمها الصوفية و حققت نتائج رائعة في هذا المجال تحسد عليه، مذكراً بأنه لا فائدة البتة من أي دعوة ضارة غير مأمونة العواقب تدعوا لخروجنا عن السياق الصوفي العام فيما حولنا و ابتكار نظام بديل لنكون لحن نشاز بينها إذ هي قطعاً دعوة تمس سمعة بلادنا رسمياً وشعبياً وتحركها أهداف شخصية ضيقة محدودة، منبها إلى أنك تستطيع أن تلحظ اختلافا كبيرا في أنظمة البلدان العربية والإسلامية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وسواها، ولكنك ستجد وحدة تامة في ما يتعلق بالشعائر والثوابت الإسلامية، فالمساجد واحدة الهيأة بلا أي فارق يذكر بينها إلا من ناحية الاتساع من عدمه والقبلة واحدة والآذان واحد والمصحف واحد والصوم له قدسيته الموحدة وثياب الإحرام واحدة ...الخ، ومنها أسلوبها في التعامل مع الطرق الصوفية الذي يكون عبر مشايخ هذه الطرق وينبغي أن نتكامل معه لا أن نشذ عنه.

العلم الواسع بأمور الدين وأحكام الشريعة وحسن السمعة والمقدرة علي رأس الشروط

الواجب توافرها في شيخ الطريقة.

السياحة الدينية:

إتماما لهذا المقترح فأنني أنبه إلي أهمية استثمار كنوز الطرق الصوفية السياحة ضمن المصطلح المسمي (السياحة الدينية) وقوامها التصوف ورجاله وطرقه ومزاراته وموالده التي تعد ثروات سياحية ضخمة مطمورة بسبب تقاعس اللجنة الشعبية العامة للسياحة عندنا وإهمالها المرعب لهذا الجانب وإهدارها وتفريطها في هذه الكنوز بشكل لم يعد السكوت عليه ممكناً في وقت نطالب فيه جميعاً بتنويع مصادر الدخل القومي والاهتمام بالجلب السياحي.

إن مزارات سيدي عبد السلام الأسمر في زليتن وسيدي أحمد زروق في مصراته وسيدي الشعاب في طرابلس وسيدي عبد النبي في ككله وسيدي القديدي في براك وسيدي حامد الحضيري في سبها وسيدي مقرب هاشم في البطنان وسواهم من مئات المتصوفين في بلادنا هي ثروة لا ينبغي إهدارها بحال !!!

ومقارنة بدولة مثل مصر يؤم مولد سيدي أحمد البدوي بمدينة طنطا بها قرابة مليون زائر في كل عام يحدثون مردودا هائلاً فوق مستوى التصور ويشكلون رواجاً اقتصادياً واسعاً على مستوى المواصلات الداخلية والخارجية والفنادق والصناعات والمطاعم والمحلات التجارية وغيرها نجد أنفسنا في غاية التقصير، وأعتقد أنه من واجب المهتمين اجراء الاتصالات الضرورية مع أمانة السياحة و التكامل معها في هذا الشأن خصوصاً وشهر ربيع الأول على الأبواب وبه يفتتح موسم الموالد والاحتفالات الصوفية.

الهوية العلمية و الأصلية:

إن اهتمام الدولة بشركة اقتصادية تؤسسها وتضع على رأسها مديراً وموظفين وتنفق عليها أمولاً طائلة لمشروع قد ينجح أو يفشل خطوة صغيرة جداً كحبة الرمال مقارنة مع ما نجنيه من فوائد علمية وحضارية وسمعة وريادة ثقافية عالمية وتأكيد لهويتنا العلمية الأصلية إذا ما أحسنا الاستفادة من بعض كبار المتصوفين الأحياء في بلادنا الذين يقصدهم باستمرار المحبون والباحثون والأكاديميون والدارسون والطلاب الليبيون والعرب والأجانب، والعجب أن يُغفل حتى اليوم عن دورهم الحقيقي العظيم في ردع التطرف وبث القيم النبيلة والقدوة الصالحة وإضفاء سمعة علمية أصيلة في المجتمع، لذا ينبغي أن تُسهل لهم أماكن إقامة في مساجد ذات أبعاد صوفية أو تاريخية مثل مسجد درغوث أو أحمد باشا في

طرابلس، أو المسجد العتيق في سبها أو مسجد أحمد زروق في مصراته أو مسجد الشيخ في زليتن أو المسجد العتيق في بنغازي وما إليها من مساجد مماثلة ليجلس إليهم هؤلاء ليستفيدوا منهم؛ فإن مردود ذلك على سمعة بلادنا في الداخل والخارج كبير جداً بحيث يخرج عن التصور، وإنني أنصح بالرجوع إلي بعض رسائل الماجستير والدكتوراه الصادرة عن جامعات ذات شهرة عالمية مثل كامبردج وأكسفورد والسوربون وغيرها من دول عربية و أجنبية وبها جميعاً أقسام للدراسات العربية والإسلامية والتخصص الصوفي ويكفي أن نعلم أن المستشرق الصوفي الفرنسي الكبير (رينيه جينو) أو عبد الواحد يحي كما تسمى بعد عقب إسلامه هو ابنها وقد حوت إشارات كبيرة إلي حوارات وفوائد و معلومات اقتبسها هؤلاء من متصوفين ليبيين معاصرين.
وهو أسلوب تعمل به كل الدول العربية والإسلامية تقريباً في مساجدها المماثلة ومنها مسجد سيدنا الحسين ومسجد السيدة زينب بالقاهرة، ومسجد سيدي أبي العباس المرسي بالإسكندرية ومسجد الزيتونة بتونس ومسجد القرويين بفاس والمسجد الأموي بدمشق ومسجد الجيلاني ومسجد أبي حنيفة ببغداد كلها يُختار لها علماء متصوفون لهم وزنهم الثقافي والعلمي وهم من يُظهرون واجهة بلادهم الإسلامية والعلمية لمواطني بلادهم وطلاب العلم والأجانب والزائرين فعلامنا نغفل عن ذلك، نعم قد لا يتجاوز عدد من هم أهل لهذه المسؤولية في بلادنا أصابع اليدين و تتحمل الأوقاف عبر إدارتي الزوايا والوعظ والإرشاد والمساجد مسؤولية إقناعهم وإعدادهم لهذا العمل الضخم وتوفير المناخ الملائم لهم.

<u>المجلس العام للتصوف الإسلامي</u>

انشئ هذا المجلس منذ ثلاثة أعوام بموجب قرار صادر عن المنسق العام للقيادات الشعبية بالجماهيرية العظمى، وتولى مسؤوليته بجدارة منذ إنشائه الأكاديمي الفاضل أ. د . محمد المدني الحضيري، وهو توجه جيد وفكرة ممتازة تستحق منا الإشادة بها .. أقول هذا معتذراً من السيد الفاضل المستشار محمد بشير مروان أمين الهيئة العامة للأوقاف والذي سمعت منه مراراً تحفظات عدة حيال هذا المجلس بسبب ما قد يسببه من إرباك وتداخل مع عمل الأوقاف، و لكنني أرى وجوده في صالح الطرق الصوفية؛ إذ أن وظائف الدولة متنقلة والخلق زائل ومصالح الوطن باقية لا تزول، وبقدر ما نحترم ونثق في السيد محمد بشير مروان والسيد عون الشيباني مدير إدارة الطرق الصوفية الحالي بالأوقاف ونتيقن طيبتهما

ومراعاتهما للمصلحة العامة وتوجههما الواضح للنهوض بالطرق الصوفية إلا إننا لا نأمن أن يتولى هذه المرافق الحيوية بعض من ليس لها بأهل ولا يتقون الله فيها ممن لا يتورعون عن الفساد والإفساد فيضرونها ويسيئون إليها مما يوجب وجود صمام أمان لها ومفزع لمساندتها ودرء السوء عنها وهو هذا المجلس الذي يوفر توازناً هاماً في هذا الصدد إذا ما أحسن اختيار الكوادر اللازمة له واستبعاد من ليس هم بأهل لهذه المهمة النبيلة.

الاحتفالات الدنية والوطنية :

توجد في كل مجتمع احتفالات دينية ووطنية، يفرح بها الناس ويبتهجون، ولي رأيي الذي طالما قلته وكتبته عن أسلوب مشاركة الزوايا الصوفية في هذه الاحتفالات ولا أريد تكراره إذ أعتقد إن الجميع يعلمه، ولكنني أتمنى أن تكون مساهمة الزوايا في هذه الاحتفالات بالسمة اللائقة بها المفيدة لها ولمن حولها، وأعتقد أن المسئولية الأكبر فيه ستقع على إدارة الزوايا بالأوقاف.

فأقول: لماذا لا توجد الزوايا في هذه المناسبات وجلها يقع في أحياء سكنية إلي توعية الناس عبر تنظيم الندوات الموسمية ودعوة المواطنين والمفكرين والمثقفين لإلقاء المحاضرات خصوصاً وآفة المخدرات بأنواعها المسحوقة والصلبة والسائلة وتعاطي حبوب الهلوسة والخمور والسرقات صارت تلح على تركيبة المجتمع عندنا؟!

لماذا لا نرتفع بأسلوب احتفالاتنا بالمناسبات الدينية والوطنية بتنظيم حملات التشجير؟ ولنا تصور أن تتكفل كل زاوية بزراعة ورعاية عشر شجرات فقط كل عيد مولد نبوي شريف.

لماذا لا تقود الزوايا حملات تنظيف الشوارع من المخلفات والقاذورات التي لا تليق بمدن نسكنها و نعيش فيها؟

لماذا لا تجمع ما زاد عن حاجة الناس من ثياب وأحذية و لوازم مدرسية وأثاث منزلي لإعادة الانتفاع به من قبل الفقراء والمساكين؟!

لماذا لا تنظم حملات تقوية التلاميذ المتعثرين دراسياً؟! لماذا لا تقوم بحملات واسعة من التثقيف الشفهي المباشر وتوزيع المطويات على مواطني المدينة بغرض المحافظة على مياه الشرب وعدم إهداره وصيانة خزانات المنازل التي تسكب الماء الفائض في الخلاء وسواها؟!.

لماذا لا تقيم المعارض وتنهض بالمبدعين من كتاب ورسامين وسواهم؟!.

لماذا لا نوجه لنشر الوعي البيئي و الحفاظ على الحياة البرية من طائر و حيوان و سوها؟!!

وبهذا الأسلوب الحضاري الرفيع يجب أن تكون مساهمتها في نظري في الاحتفالات الدينية والوطنية لا بسواه .
إن إمكانات العطاء والعمل الخيري في الطرق الصوفية كبيرة وواعدة إذا ما وُجدت الإدارة الرسمية الجيدة وأحسنت التعامل معها عبر مشايخها الحقيقيين السابق الإشارة لهم أعلاه الذين هم فقط من بيدهم تصحيح مسارها والنهوض بها.

تشجيع المبادرات الصوفية الإيجابية:

يوجد زوايا كثيرة يقتصر نشاطها على ليلتي الاثنين والجمعة لتلاوة الأحزاب وإقامة الذكر وإنشاد القصائد وهو نشاط موفق كريم مثاب بإذن الله، كما يوجد بعض الزوايا تضيف إلي ذلك بعض دروس الفقه وأمور الدين وهذا جهد ممتاز ينبغي تقديره واحترامه، ولكن هناك طرق صوفية ترى التصوف أوسع من ذلك بكثير، فتضيف نشاطات ثقافية وإنسانية عدة فتضع البرامج للتوسعة على المحتاج وتقيم رياضاً للأطفال وتوزع عليهم الهدايا والملابس والمستلزمات التعليمية وتؤكد السمة الثقافية العلمية للتصوف بإقامة الاحتفالات ذات الصبغة الثقافية ومعارض الفنون والكتب والمعاقل الثقافية وتهتم بالتشجير وإصلاح ذات البين والنشاطات الاجتماعية المتعددة وهؤلاء أراهم هم الأساس الصوفي المتين الذي سيشكل حافزاً للعطاء والبناء ومجالات للتنافس الخلاق أمام الآخرين ممن يؤيدونهم أو يعارضونهم لذا ينبغي احترام جهدهم وإظهار الشكر والتقدير الحقيقي الشفهي والمكتوب لهم واتخاذهم قدوات يُحتذى بهم كي تعم الفائدة بإذن الله.

جسور الثقة:

لأسباب كثيرة سابقة لا تخفى عن المهتمين بهذا الأمر لا نرغب سردها أو الخوض فيها فإن أعدادا كثيرة من متصوفي ليبيا انصرفت عن التعامل مع الدوائر الرسمية وهم الآن يمارسون التصوف خارج إطار الهيئة العامة للأوقاف وينبغي إعطاءهم الاهتمام اللازم وترميم جسور التعامل معهم وإعادة النظر في الأسباب التي حدت بهم لذلك فإنني أعتقد أن الإدارة الناجحة هي التي يتسع صدرها لكل ذوي العلاقة معها، تمد يدها للجميع وتصم أذانها عن ألسنة الكائدين الناقثين المغرضين، ولا تسقط من يديها أحداً قط، بل تجتهد لتجعل الجميع مستأنسا بها مطمئناً لصلاحها وإصلاحها آمناً على نفسه وسمعته واثقاً في نيل حقوقه منها كاملة؛ ولذلك ينبغي إعادة النظر في أقسام إدارة الزوايا الصوفية في الأوقاف بفروعها وإقصاء من ليس بأهل لها من منسقي زوايا ورؤساء أقسام الزوايا ومتابعين وسواهم وإلغاء

إجراءات سابقة عديدة يمنعني الالتزام من ذكرها جميعا وإنما أختار منها على سبيل المثال:
ففي حين تستطيع أي مجموعة من الناس أو الشباب كائناً ما كان عددهم السفر والزيارة وقضاء الرحلات بمنتهى اليسر والسهولة ولا يكلفهم ذلك سوى جمع المبلغ المالي المطلوب وهو حقهم الطبيعي الذي كفلته لهم الدولة في التنعم بالتنقل حيثما أرادوا فأنه لا تستطيع أي زاوية الخروج بمريديها ولو كانوا خمسة أفراد للزيارة أو النزهة إلا بورقة رسمية مختومة من قسم الزوايا تسمح بذلك، والحقيقة أن بعض رؤساء أقسام الزوايا بفروع ومكاتب الأوقاف محترمون فوق الشبهات أدباً ومسؤولية وفضلاً، و لكن بعضهم الآخر يستغل كرسيه بسادية و إجرام مستغلاً طيبة وخشية من يتعامل معهم مما يضطر المساكين بالتبعية له لاستجدائه والتوسل إليه حتى يتفضل جنابه بالموافقة التي قد لا تكون في بعض الأحيان، وبين يدي رسالة تخاطب فيها إحدى الزوايا الرقابة الإدارية بالتدخل بعد أن أعيتها الحيل مع المنسق للموافقة على زيارة ترغب القيام بها ... إننا في عصر الحريات وهذا الإجراء ضد الحرية مقيد لها فاقد لأي تبرير كما أنه يعرقل دور الزوايا في استمالة الشباب الذين يرفضون بحكم سنهم وانطلاقة شبابهم الطبيعية القيود والتحجير فينصرفون عن الزوايا ربما إلي ممارسات لا تحمد عقباها ليس التطرف بأقلها، والصواب أن يُلغى هذا الإجراء على وجه السرعة .... والملاحظات كثيرة.

<u>ختاماً</u> إن مهمة الهيأة العامة للأوقاف بإدارتها و منها إدارة الزوايا الصوفية التي هي محور موضوعنا هنا مهمة شاقة وعسيرة وعلينا أن نقدم لهم عون الأخ و نصح المحب لينهضوا بهذا المرفق ويحققوا الآمال التي يعلقها وطنهم عليهم وأعتقد أننا بذلك نساهم في إنارة دربهم وإظهار مشاعر حبنا وتقديرنا لهم ولما يبذلونه مكرراً أسفي واعتذاري مرة أخرى لكل من ساءه ولو حرف واحد مما ذكرت، و الله وحده الموفق.

ثمار تشتهي قاطفين

التطلع إلى الأفضل والعمل على تحقيق أكبر قدر من الطموحات والأماني هو سمة الإنسان المتحضر الناضج الناجح الذي يجب أن يعيش سعيدا هو وأسرته في مجتمعه الآمن الهنيء. وليس يعيب المرء أن ينظر حوله في تجارب غيره من بني جنسه فما وجده ضارا اجتنبه، وما وجده نافعا اقتبسه؛ فلو مات الطموح في الإنسان صار ميتا وإن حمل بطاقة شخصية وجواز سفر وداوم في عمله من الساعة الثامنة صباحا إلى الثانية بعد الظهر.
سقت هذه المقدمة وأنا في أشد التعجب والأسف مما عليه زوايانا وطرقنا الصوفية اليوم من جمود وتقوقع، مبنى قديم وربما نهدمه لنشيد جديدا مكانه ونجتمع فيه ليلتي الاثنين والجمعة لنقرأ حزبا ونقيم حلقة ذكر نلحقها بقصائد ومدايح ويذهب كل منا في حال سبيله.
هذه هي الصورة العامة، وإن شذت عنها نادرا بعض زوايا بدروس تُلقى على قلة من الحاضرين، وأحيانا اجتماعات في أيام عدة من الأسبوع لتبادل الأحاديث وتمضية الوقت.

نعم هذه هي الصورة العامة للزوايا الصوفية اليوم، وهي متكررة منذ سنين طويلة بلا تغير يذكر عدا الوجوه والأسماء، وليس قراءة الحزب أو إقامة حلق الذكر والمدايح خطأ، كلا والله، وإنما الخطأ هو أن نبقى على ذلك جامدين في عصر يعج بالحركة ويضيق بوثبات بني الإنسان وقفزاتهم لفتح أبواب العطاء والنماء، أما المصيبة فهي أن نظن أن هذا هو التصوف فقط ولا مجال لغيره.

استضافتني مرة في مصر طريقة صوفية اسمها{أحباب الصفاء المحمدي} مقرهم الرئيس في طنطا، ولهم زوايا منتشرة في جل مصر، بعثوا لي سيارة قوية تشابه الطاويات ركبتها وشقت طريقها في شوارع القاهرة المزدحمة إلى محافظة اسمها القليوبية، ثم دخلنا في طرق ترابية وعرة وسط قرى وكفور الريف المصري .
كان المنظر بسيطا ممتعا؛ دور صغيرة مبنية بالطين واللبن تسكنها الأسرة ومعهم الجاموسة والدواجن، والجميع يكدح في الغيط نهارا ثم يرجع في المساء ليجلس أفراد العائلة أمام الباب الخارجي يتسامرون، وهي وسيلة الترفيه الوحيدة.
في عمق الريف تجد الشخصية المصرية الأصيلة الطيبة الودودة البعيدة عن تكلف المدن السمج والديكورات الزائفة، هنا الرجل وهو بطبعه الريفي طيب شهم هو رب الأسرة وصاحب الكلمة الفصل، والنساء محتشمات اللباس والهيأة، والأطفال ينظرون إلينا

باستغراب الطفولة المُحبب وفضولها.
وقفت السيارة أمام دار متميزة عن الأخريات باتساع بسيط، وبعض التحسينات، يبدو أنها دار العمدة لنجد في استقبالنا شيخ الغفر، هو نفسه الذي نراه في التلفزيون بمعطفه الغليظ وطربوشه يتوسطه طولا خط أحمر به هلال كبير والبندقية على ظهره، وضرب الأرض بقوة حتى كاد يفجر الماء من تحتنا، وأدى لنا هو ومن حضر من الخفراء تحية عسكرية عتيدة، وربما ظنوا أننا من ذوي المناصب والرتب، ويعلم الله وحده أنه لا رتبة لنا ولا منصب إلا حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحب من يحبه، وذاك أعلى ما نصبو إليه وبعدها على كل الدنيا السلام، وفي هذا ربما فاقنا شيخ الغفر وإخوانه بحسن نيتهم وسلامة طويتهم بلا شك.
دخلنا الدار وبها شيخ الطريقة سيدي محمد اسماعيل الليثي النمر - أمد الله في عمره - جالسا على بساط متواضع وحوله المريدون من أهل القرية والمدعوون يغص بهم المكان، أفسح لي الشيخ بجواره لأجلس بصعوبة، كانوا يتلون المولد النبوي الشريف، لقد كانت كل القرية تقيم مولدا يستعدون له منذ أشهر يجمعون على فقرهم ما يصلح لهذا الأمر من مال وطعام، وعطرت قصة المولد النبوي الشريف (البرزنجي) تلك الدار وغمرت نفحات الوصل والأنس قلوب الحاضرين وخُتم بدرس ودعاء، ثم قُدم العشاء وخُصصنا ربما بناء على توصية خاصة بكسكسي بالسكر، وخرجنا نتجول في القرية وإذ بمستشفى صغير في تلك البقعة النائية يحمل اسم (الصفاء المحمدي) ، وبالسؤال تبين أنهم بنوه هنا وهم من ينفقون عليه ويعطون الرواتب لأطبائه وممرضيه ويوفرون له الأدوية والمعدات والمستلزمات الطبية، ولهم غيره في قرى ومدن عديدة؛ لطريقة الصفاء المحمدي الصوفية مؤسسات خيرية في كل مصر، بل وتوزع خلال شهر رمضان الكريم الطعام والكسوة على الفقراء طوال الشهر الفضيل.
أحب أن أقول أن صديقنا الشيخ محمد النمر شيخ الطريقة كان قد أخذ التصوف عن الشيخ الطاهر بن محمد أحد متصوفي مدينة الزاوية الغربية في الجماهيرية العظمى، وصحبه لعشر سنين متصلة حتى أذن له بالرجوع إلى مصر وصار من أمره ما لا يخفى.
العشيرة المحمدية طريقة صوفية كبيرة جدا في مصر، لها قرابة مائة مؤسسة خيرية ما بين مستشفى وساحة ودار رعاية ومكتبات وقاعات مناسبات ورياض أطفال ومدارس ومساجد ومكاتب للحج والعمرة تمكن الراغبين من أداء نسكهم في يسر وسهولة.
أحب أن أقول إن العشيرة المحمدية أصلها من عندنا وشيخها الأصل هو سيدي أحمد زروق

مدفون في ربوع بلادنا وعنه أخذ تلامذته وانتشرت في مصر.
الطريقة العزمية لها فروع وساحات وبعثة دائمة للحج والعمرة ومنشآت خيرية ونشاطات ثقافية ودار نشر مشهورة جدا اسمها (المدينة المنورة).
أحب أن أقول إن مؤسسها الشيخ محمد ماضي أبو العزائم (ت1356هـ) ينتسب إلى أسرة شريفة كريمة من المحجوب بضواحي مصراته هاجرت في العهد القره مانللي إلى قرية بوعلي بضواحي دسوق بمصر واستقرت بها.
الطريقة الجعفرية لها في حي الدَّرَّاسة بالقاهرة منشآت عديدة وقاعات ودور للمناسبات ودار نشر اسمها (جوامع الكلم) وزوايا في مصر والسودان واليمن وليبيا وباكستان وماليزيا والبحرين، ولها في القاهرة مستشفى الجعفري التخصصي، وفي حلوان مستشفى حلوان التخصصي وعيادة متكاملة في الإسكندرية وعيادة أخرى في الجبل الأصفر، وفي مدينة بني عدي مستشفى بني عدي التخصصي ووحدة غسيل الكلى بكفر تصفا، ولها معهد لتحفيظ القرآن الكريم والقراءات، وعشرات فصول تقوية الطلاب، ورياض للأطفال، ولها بعثة دائمة للحج والعمرة تستقبل راغبي الحج إلى بيت الله الحرام وتقدم لهم أفضل الخدمات الممكنة.
أحب أن أقول إن الشيخ صالح الجعفري (ت1399هـ) مؤسس هذه الطريقة طالما زار بلاده ليبيا وتجول في ربوعها إذ أن الطريقة الجعفرية فرع للطريقة الصوفية السنوسية وهي ليبية هي الأخرى.
كل الطرق الصوفية في مصر متشابهة من حيث النشاطات الخيرية النافعة، وإنما اخترت هذه الأربع كنموذج من بين 78 طريقة صوفية مسجلة رسميا في مصر لسبب جذورها القوية عندنا، ولنا تصور أن تنشئ كل طريقة منها مستشفى واحدا فقط مما يعني 78 مستشفى في مصر، أبعد هذا فضل؟
وهم يعتزون بهذه الجذور، وطالما أشادوا بليبيا التي تحوي أضرحة مشايخهم وأصول طرقهم الصوفية، ومنها عم النفع والخير عليهم فانتسبوا لهذه الطرق وتنعموا بما فيها من تربية أخلاقية وسلوك وعلم ومعرفة وعمل وقرب إلى رب العزة سبحانه وتقرب.
والسؤال المحرج هو: لماذا جمدت الطرق الصوفية عندنا على هذه الصورة المخجلة وهي أصول، وتطورت عندهم بما يعود بالنفع على المريدين خاصة والمجتمع كله من ثم وهي فروع؟!!!
في المغرب الشقيق بالإمكان أخذ نموذج الطريقة الريسونية ودورها الثقافي الرائد وإيفادها

الطلاب المتميزين للدراسة على حسابها في مختلف العلوم العصرية في الجامعات والمعاهد العليا في أنحاء العالم، وحملتها للتعريب واستعمال اللغة العربية بدلا من الفرنسية.
آن الأوان لنعيد النظر في دور الزوايا الصوفية في مجتمعنا الليبي.
خلاصة الأمر ولا داعي لمزيد من الشواهد أحسب أنه قد آن الأوان لنعيد النظر في مفاهيم خاطئة نتوارثها ومسلمات واهية دأبنا عليها؛ إذ من غير المعقول أن نعيش جامدين على هامش المجتمع لا نؤثر فيه إيجابا ونفعا .
آن الأوان لتؤسس الطرق الصوفية عندنا المستشفيات والعيادات الخيرية وتساعد الفقراء والمحتاجين بالغذاء والكراسات واللوازم المدرسية والثياب، تجمع ما يزيد عن حاجة المقتدرين لينتفع به المعوزون، تؤسس المكتبات ودور الثقافة، تنظم الندوات العلمية والمحاضرات التي تقي الجيل شرور المخدرات والخمور والسرقة والجنوح، تقيم معارض الكتاب، تؤسس معاهد تأهيل من قصرت بهم ظروفهم عن نيل الشهادات فتعلم الحاسوب والسكرتارية والإدارة والمحاسبة المتوسطة والحياكة والتطريز والأشغال التقليدية واليدوية، وتصدر الشهادات المعتمدة بذلك مما يوفر فرصة عمل ويفتح بيوتا ويعمر ديارا ويدر أرزاقا تبني رياض الأطفال ودور رعاية المعوقين والزمني.
ما الذي يقصر بنا عن ذلك؛ فالطرق الصوفية عندنا عامرة بحمد الله بالأطباء والعلماء والمثقفين والموسرين والشباب المقتدرين على العمل التطوعي، ولا ينقصها معرفة حاجات المجتمع وهي تعيش في وسطه وتعايش ظروفه ومتطلباته.
وعلى الهيأة العامة للأوقاف وعليها يقع عبء كبير في هذا الموضوع بحكم مسؤوليتها الإدارية على الطرق الصوفية والزوايا أن تجد الكيفية المثلى لتحقيق هذه الطموحات، وذلك باستصدار القوانين والقرارات الميسرة ورسم الخطوط العريضة وخطط التنفيذ وسبلها ووسائلها.
يجب أن نعي تماما أن هذا الجمود الذي نحن عليه يضر ولا ينفع ويحجب عن البلاد فوائد جمة ويجعلنا في المجال الصوفي نتأخر عمليا وفكريا وحضاريا عما عليه التصوف في بلاد عربية وإسلامية مجاورة.
أضعف الإيمان أن نواصل مسيرة الخير والعطاء التي طالما افتخرنا بها عندما كانت الزاوية في بلادنا مدرسة ومنتدى ثقافيا ورباطا للجهاد ومرفأ أمان لعابر السبيل والخائف، وقِرى للجائع، ومفزعا لذوي الحاجات والمكروبين، وحائلا بين المتخاصمين والمتنازعين،

وذلك بمؤسسات عصرية تستلهم تلك المبادئ السامية والقيم النبيلة بما يوافق إنسانا يعيش في القرن الحادي والعشرين وإلا فسيكون موقفنا مخجلا أمام من يأتي بعدنا.

فـــــــهرس

مؤلفات فضيلة المُحدث المؤرخ مُسند الديار الليبية
علامة ليبيا الكبير الشيخ أحمد القطعاني

منقولة عن صفحة {موسوعة القطعاني} على الفيس سبوك ... الناشر.
https://www.facebook.com/alqatani.encyclopedia

1. مختارات من غناوي البادية (أدب شعبي) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1972م}.
2. الروائح الشذية / مخطوط {ألفه سنة 1978م}.
3. الكناش / مخطوط {ألفه سنة 1983م}.
4. متون ليبية / مخطوط {ألفه سنة 1984م}.
5. تسهيل المرام لدارس عقيدة العوام (عقيدة أشعرية) / أكثر من 10 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1984م}.
6. مرشد المبتدئين في تلخيص متن المرشد المعين (فقه مالكي) / مخطوط {ألفه سنة 1985م}.
7. لا مخبأ لعطر بعد عروس (أدب)/ مخطوط {ألفه سنة 1985م}.
8. مواجيد المحبين وأشواقهم لسيد المرسلين / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1987م}.
9. منتخبات زهر الخمائل من قصائد الشعر الشعبي للأواخر والأوائل / (أدب شعبي) مخطوط {ألفه سنة 1987م}.
10. الخلاصة / مخطوط {ألفه سنة 1989م}.
11. الحجة المؤتاه في الرد على صاحب كتاب إلى التصوف يا عباد الله / أكثر من 22 طبعة كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1990م}.
12. القطب الأنور عبد السلام الأسمر / 8 طبعات كما نشر على شبكة النت {ألفه سنة 1992م}.
13. الشيخ الكامل محمد بن عيسى / أكثر من 8 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1992م}.

14. تقديم وتحقيق وتصحيح وضبط كتاب {مختصر البحر الكبير} للشيخ عبد الرحمن المكي ت998هـ،1590م / مخطوط {ألفه سنة 1993م}.
15. الآرس في نسب الفواتير من آل بوفارس (أنساب) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1993م}.
16. الإهابة بمن دفن في البلاد الليبية من الصحابة (تاريخ) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1994م}.
17. الداني المدني محمد حسن حمزة ظافر المدني / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
18. الوارث النبوي أحمد بن مصطفى العلوي / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
19. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط كتاب {فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم} للشيخ عبد السلام بن عثمان ت1139هـ،1727م / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
20. تحفة الحبيب الزائر (تراجم) / مخطوط {ألفه سنة 1994م}.
21. الغوث في أوراد الشيخ محمد بن عيسى الغوث / 3 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
22. قاف العرب (في علم القراءات)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
23. شيخ الشهداء الصوفي عمر المختار (تاريخ)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1995م}.
24. حراس العقيدة (تراجم)/ طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1996م}.
25. برقمة عند الوكن (تربية وتعليم)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1997م}.
26. دليل الخيرات محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1997م}.
27. مسرحية فتح مكة (مسرح)/ مطبوع {ألفه سنة 1997م} وهي مسرحية ذات رؤيا تتحدث عن فتح مكة لقلوب الناس وعن أساليب الدعوة الإسلامية الخالدة وآراء كبار مفكري العالم وأدبائه وأعلامه فيها وتقبل عقول الناس وانشراح قلوبهم لها قدم العرض الأول لها بمناسبة ذكرى فتح مكة التي كانت على الأبواب على مسرح الفنان محمد عبد الهادي بدرنه في 16/ رمضان/1418 الموافق 1998/1/15م أداء طلاب وطالبات منارة الصحابة للعلوم الشرعية وإخراج الفنان منصور سرقيوه.

ثم قدم العرض الثاني لها مساء يوم الخميس 2008/10/09 م في اليوم الوطني للمسرح في ليبيا وذلك بمناسبة مرور 100 عام على تأسيس المسرح الليبي الحديث أدتها على مسرح الكشاف بطرابلس فرقة غفران للأعمال الفنية والمسرحية بالتعاون في عرضها مع العديد من الفرق الفنية الليبية المماثلة وإخراج الفنان صالح بوالسنون.

28. مجالس الفقراء/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1998م}.
29. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط ديوان الشيخ أحمد البهلول ت1113هـ،1701م (مدايح نبوية) / أكثر من 20 طبعة كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
30. على مشارف تونس (أدب رحلات) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
31. من مسجد الحي إلى المسجد الأقصى (دراسات إسلامية)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
32. معالم وأعلام (أدب رحلات) / طبعتان كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 1999م}.
33. موسوعة القطعاني الإسلام والمسلمون في ليبيا / طبعتان {أتم تأليفه سنة 2000م}.

استغرق تأليفها 18 عاما تؤرخ لأكثر من 1400 عام أي منذ الفتح الإسلامي لليبيا سنة 21هـ وتوثق تاريخ ليبيا الإسلامية بأدق تفاصيله السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وسواها ، والصحابة الكرام وآل البيت عليهم السلام الذين دخلوها والذين دفنوا بها منهم ، وأهم الأحداث الإسلامية التي حدثت بها ، وحوت تراجم 700 شخصية من الأعلام ذكورا وإناثا غالبها يؤرخ له لأول مرة ، والرجال المميزين من غير الليبيين الذين دخلوا ليبيا وأثروا بها وعام دخولهم إليها وأهم أعمالهم فيها.

وأكثر من 100 عمود نسب ونحو 600 سند متصل وسند 40 كتاب حديث شريف وأرخت لكل الطرق الصوفية التي ظهرت بليبيا مع ذكر مؤسسيها ومشايخها ووقت ظهورها في البلاد وزواياها وأسانيدها الصوفية ومصطلحاتها وتعريفاتها وبحوث علمية حولها ووثقت وضبطت عدد قبائل ليبيا والكثير من أسرها بادية وحضرا وتنقلاتها وأصول الأمازيغ وهجرتهم إلى شمال أفريقيا ووثقت بمنتهى الدقة لـ 16 دولة هو مجموع الأنظمة التي شكلت دولا أو أسرا حكمت ليبيا في عهدها الإسلامي مع التعريف بمؤسسي هذه الدول والأسر وأهم رجالها ومذهبها وما واجهها من أحداث ، والاستعمارات الحروب الأهلية التي نشبت بليبيا.

وأهم مساجد ليبيا وزواياها ومصاحفها ومدارسها التاريخية ومعاقلها ومكتباتها ومسرحها وصحافتها ومؤسساتها العلمية ، ومؤلفات علمائها المطبوعة والمخطوطة والمفقودة ودخول أندر نسخة مخطوطة من صحيح البخاري إلى طرابلس والمذاهب الدينية والنحل التي ظهرت بليبيا والفرق الإسلامية من سنة وشيعة وأباضية والمهديين المنتظرين المزيفين والجماعات الإسلامية الحديثة التي دخلتها أو وجدت بها وتاريخ ظهورها بليبيا ومناقشة أفكارها وعقائدها سياسيا وإسلاميا وثقافيا..

34. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الأولى بعنوان : القطب نجم الدين كبرى رسالتان (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
35. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الثانية بعنوان : المبين الشاهد 29 رسالة (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
36. مجموع رسائل الشيخ أحمد القطعاني المُسمى (سلسلة رسائل أمداد العناية) المجموعة الثالثة بعنوان : سياحات القلوب 31 رسالة (أدب رسائل) طبع سنة 2001م كما نُشر على شبكة النت.
37. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط منظومة {أهل بدر} للشيخ عبد الله العياشي ت1073هـ،1663م (دراسات إسلامية) مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2001م}.
38. علاج ظاهرة التطرف في ليبيا (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2003م}.
39. منهجية التصنيف السلوكي في التأليف الفقهي المالكي / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2003م}.
40. مسرحية سجين بلا قضبان (مسرح الطفل) / مخطوط {ألفها سنة 2006م}.
41. كأنك تعيش أبدا (الطب البديل)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2006م}.
42. خصائص السيرة النبوية الشريفة (دراسات إسلامية)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة2007م}.
43. المنهج العملي للتحديث {حديث أم زرع نموذجا} (حديث شريف) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2007م}.

44. الكرامة الإسلامية (دراسات إسلامية) / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2007م}.
45. أوبة المهاجر وتوبة الهاجر(ثبت حديث شريف)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
46. سري للغاية / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
47. أكذوبة الدعوة للإسلام (دراسات إسلامية)/ مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
48. وداعا أيتها الدموع(أدب) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
49. موسوعة الأشراف (رؤية جديدة للسيرة النبوية الشريفة) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
50. الحب القذر (فقه مستنير) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
51. إسلام للبيع (دراسات إسلامية)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
52. الإسلام هو الحل (دراسات إسلامية)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
53. رحلات أحمد القطعاني (أدب رحلات) / مخطوط {ألفه سنة 2010م}.
54. لماذا أبكيتم عصام ؟ (أدب) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2010م}.
55. سالم كريِّم القطعاني وصفحات في تاريخ الوطن (تاريخ)/ نُشر على شبكة النت {أتم تأليفه سنة 2016م}.
56. المسرد الطيع في نسب قبيلة العواكلة آل اسميع (أنساب) / مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2011م}.
57. شتاء طرابلس الدامي (تاريخ)/ {ألفه سنة 2011م}.
58. كرائم المسلسلات (ثبت حديث شريف)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2012م}.
59. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط مولد البرزنجي ت 1177هـ،1763م (سيرة نبوية شريفة)/ أكثر من 3 طبعات كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2013م}.
60. إجازة شيخ الحديث أحمد القطعاني في الأربعين القادرية للشيخ عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلاني (حديث شريف)/ مطبوع كما نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2014م}.
61. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط منظومة {الجوهرة المنثورة} للشيخ عبد السلام الأسمر ت981هـ،1574م (دراسات إسلامية) مخطوط {ألفه سنة 2015م}.
62. من أبطال العرب نجيب بك الحوراني (تاريخ)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2015م}.

63. أزجال الشيخ عبد الرحمن المجذوب في ليبيا / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2015م}
64. تونس الزيتونة والزيتون (أدب رحلات) / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
65. تقديم وتحقيق وإسناد وتصحيح وضبط {رائية الشريشي} ت641هـ،1243م / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
66. ثلاثيات البخاري في طرابلس وبنغازي وأوباري (حديث شريف) / مطبوع كما نشر على شبكة النت {ألفه سنة 2016م}.
67. غنائم المسلسلات (ثبت حديث شريف)/ مخطوط {ألفه سنة 2016م}.
68. تعرُّفُ المُريد على رجالِ حزب التوحيد (المشهور باسم حزب سبحان الدايم للإمام الجزولي)/ مخطوط {ألفه سنة 2016م}.
69. حزب التوحيد {المشهور باسم حزب سبحان الدايم} للإمام محمد بن سليمان الجزولي برواية وتعليقات وضبط وتشكيل الشيخ أحمد القطعاني نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2017م}.
70. نُوارُ العَشِيَّةِ أسانيدِنا في حديثِ الرحمة المُسَلسلِ بالأوليَّةِ (ثبت حديث شريف)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2018م}.
71. فرحةُ المُحبين بألقابِ أولياءِ اللهِ الصالحين / نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2018م}.
72. الإجازاتُ العشر(ثبت حديث شريف)/ نُشر على شبكة النت {ألفه سنة 2018م}.
73. العرجون (ديوان شعر) / مخطوط.

<u>إضافة إلى :</u>

مسرحيات وأوبريتات موسيقية منها:

- أوبريت موسيقي بعنوان (الأسوة الحسنة) عرض في يوم السبت 2007/2/3م على مسرح مجمع ذات العماد بطرابلس أداء: فرقة غفران وذلك في أمسية النور بمناسبة دخول مجلة الأسوة الحسنة عامها العاشر .
- أوبريت موسيقي بعنوان (اليقظة) عرض في يوم الجمعة 2008/08/08م بطرابلس أداء: فرقة غفران .
- حولت بعض كتاباته إلى أعمال تلفزيونية وعروض مسرحية.